

مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

السنين ١٣٣٩ : هـ الموافقة ١٩٢١ : م
تشرني دمشق مرة في اشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٣٧ م
شوال وذو القعدة سنة ١٣٥٥ هـ

مركز تحقيق كتاب علوم دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

بجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ٤	ثمان السادسة الى كل سنة منها	في الداخل ٢٥٠
السابعة الى الثانية عشرة	في الخارج ٤٠٠	٢٠٠
الاولى الى السادسة	السابعة الى الثالثة عشرة	٢٢٥



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الوليد بن يزيد

حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :
بين أبي العاصي وبين الحجاج بالكما نورا مزاج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عممة النبي عليه السلام ،
كان يفتخر بها إذ يقول :
نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر أبيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني أمية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تأديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ، ولكن عبد الصمد كان معروفًا بالشراب يتهم بالمجون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما ولما كانت سنة اثننتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماء من الظرفاء والخلعاء ، فتغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه شهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاض وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيت به غير محاش ، فكذب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشرها صرفاً ومزوجة بالسخن أحياناً وبالفاخر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام . وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة ولياً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتشكر له هشام ، وصار يعيبه وينقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الأزرق على ماء ، يقال له الاغدف بالازدن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشرىوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل آياتاً ، فقال :

ألم تر للنجم إذ شبرا يبادر سيفه بوجه المرجعا
تخير عن قصد مجراته أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبتني شأنه وقد لاح إذ لاح لي مطعمعا
لعل الوليد دفا ما يملكه فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه كنا أمل ذي الجذب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الامور طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبير بل يزيد علي الكبير

فأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير
وكتب الوليد الى هشام يعلمه بأخراج عبد الصمد، ويعتذر اليه بما بلغه من منادته
وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد، فغضب هشام ابن
سهيل وسيره، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاكخبار اليه، فغضبه
ضرباً مبرحاً والبسه المسوح وقيدته وحبسه، فغم ذلك الوليد وقال: «من يثق بالناس ومن
يصطنع المعروف هذا الاحول المشثوم قدمه أبي على أهل بيته فصوره ولي عهد ثم يصنع
بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحد هوى الا عبث به، كتب الي أن اخرج عبد الصمد
فاخرجته، وكنت اليه ان يأذن لابن سهيل في الخروج الي فغضبه وسيره، وقد علم رأيي
فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه الي وتحرمه بي وانه كاتب فغضبه وحبسه يضار في
بذلك، اللهم اجرني منه» وقال في ذلك أياتا اولها:

انا النذير لمسدي نعمة أبداً الى المقاريف ما لم يخبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بايات أولها:

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع
الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاء فيه البشير بالخلافة
قال لاحد اصحابه: ما أتت علي ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت علي
هموم وحدثت نفسي فيها بأمر هذا الرجل يعني هشاماً، فاركب بنا نتنفس فركبنا
فسار ميلين ووقف على كتيب وجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى دحج فقال: هؤلاء رسل
هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلاً على البريد مقلان، فلما قربا نزلا بعدوان حتى
دنوا منه فلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احدهما يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال ويحك
أما هشام؟ قال نعم، قال: فمن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن
صاحب دهبان الرسائل.

واظهر الوليد الشجاعة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه. قال حكم الوادي
المتني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهني بالخلافة واتاه القضيب والخاتم، فامسكنا
ساعة ونظرنا اليه بعين اخلافة، فقال غنوني:

طاب هومي ولد شرب السلافه اذ اتانا نعي من بالرصافه
واتانا البربد ينعي هشاماً واتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحننا بخمر عانة صرفا ولهونا ببقينة عزافه
وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم
نزل نغني الى الليل .

ولوليد اشعار اخرى في الثمانية بهشام منها قوله :
ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياه الأوفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به اصبعاً
وما اتينا ذاك عن بدعة احله الفرقان لي اجما
وقوله :

هلك الأحوال المشو مٌ فقد ارسل المطر
ثم استخلف الوليد م فقد اوراق الشجر
فاشكروا الله انه زائد كل من شكر
وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس
وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجري على زمني اهل الشام وعميهم وكساحم
وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد
الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ،
ولم يقل في شيء يسأله لا ، وفي افشاء الخلافة اليه بقول :

ألا ايها الركب الخبون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وثوقعوا
ضمنت لكم ان لم نعتني عوائق بأن سماء الضر عنكم سنقلع
سيوشك الخاق معا وزيادة واعطية مني عليكم تبرع
محرمكم دهبانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهرا وتطبع
وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليي عهده وجعل
الحكم مقدما ، وازداد تهاديا باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة الحان

وتقريب المغنيين ، وقسا على بني عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، وامر بقتل خالد بن عبد الله القسري زعيم البائية بالشام ، وجعل بكره المواضع التي فيها الناس فينقل للصيد مع ندمائه فقتل ذلك على الناس وكرهته البائية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلا عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشد هم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاة والبائية من اهل دمشق خاصة ، وانت البائية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذاك متبذراً فقبل منهم ، على كره من عقلاء بني مروان مروان بن محمد والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكراً فدخلها ليلاً ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فظهر امره والوليد هو منذ بالأغدف من عمان ، ونادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الى يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبي : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمتعونك ، فقال : ما ارى ان تأتي تدمر واهلها بنوعامر وهم الذين خرجوا علي ، ولكن دلتني على منزل حصين ، فقال : ارى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر الزمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهمكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين وقال : اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفرغ اذا ما هم هموا باحدى هنائهم حسرت لهم رأسي فلا أنقنع وقال له بيهس بن زميل : أما اذا بيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك اشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقي حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعلي توثب الرجال ، وأنا أتب على الاسد وأتخضر الافاعي ؟ واشتبهك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبت وقا تل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدو الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

رجل شريف له شرف وحياء أكمله ؟ فقال له بعضهم : كلني ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة السكسكي ، قال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله ، قال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد كثرت وأغرقت وإن في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع إلى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعملوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه ، فقال له : نَحْ سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكنت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يجبسه وبؤسه فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضر به أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجه ، واحتز أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق . وكانت مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل إلى دمشق مرأ ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفريديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوايح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قبيض قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

نقلب في أنوابه وكأنا نقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة .

صفته وأخلاقه

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، كان أبيض مشرباً حمرة ربة جيلاً ، من أصبح الناس وجهاً وأنبلهم قد خطه الشيب قال :

انما حاج قلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته
يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة وهو
كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثبا دون ان يمسا
بهده وقد كان يتأق بلباسه كثيرا من حيث انواعها والوانها واصنافها يجب الخز
والوشي والقصب والمزركش ويحيل الى الالوان المشرقة كالاحمر والاصفر ويضع على
رأسه قنسية وشي مذهبة ويعتم بالخز ويلبس حلال الوشي والغلائل الموردة والمطارف
والقباء والدراعة والسر اويل والازر والاردية والربطات وينقلد سيفا ويغير ثيابه في
اليوم الواحد مرارا وكان ينطيب ويتزين بالجواهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل
بيده عقدا من الجواهر ويلبس عقودا منها ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير ثيابه .

قال حماد الراوية : انتهت الى الوليد وهو بالبخرا فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا
هو على سرير ممد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء بقيشان الزعفران قيثا . وقال عطر د
المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتصع بالذهب الناعا . وقال أبو كامل مولد
الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة مودة . وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد
وعليه دراعة وشي ويبدعه عقد جواهر . وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجواهر
بنو امية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير
الثياب . وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به . وقال عمر الوادي المغني : رأيت
الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتصع من شجاعه وذكر خمار
في الخبر انه رأى الوليد مثلما بعمامة خز . ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل
اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على برذون كميث عليه قباء خز وعمامة خز محتزمة
بريطة دقيقة قد طواها وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف . وروى ابن عساكر
عمن دخل على الوليد يوم مقتل له انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قبص قصب
ومر اويل وشي : وكان الوليد معجبا بنفسه مدلا بجماله مزهوا بشبابه ينزل بنفسه كما
ينزل بالفتيات الحسان ويصف حبهن له ونهاقتهن عليه قال :

قامت الي بتقييل تعانقي ربا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا احد نفسي لنفسك من داء نغديها
 بتنا كذلك لا نوم على مرر من شدة الوجد تدنيني وادنيها
 حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجها
 ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد والله عني بحسن الفعل يجزيها
 وقال على لسان سلمي بنت سعيد اخت زوجها :

اقمر مني على الوليد سلاما عدد النجم قل ذا للوليد
 حسدا ما حسدت اخي عليه ربنا نيننا وبين سعيد

وقال :

في فتية من بني امية اهل المجد والمآثرات والحسب
 ما في الوري مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل ابي
 وكان منذ حدانته ميالا للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب كما كان
 يحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعاء والجنان وصماح الغناء ومجاراة اهواء
 النفس كمعاقرة الخمر ومعاشرة الحسان ومازلتمن والتشبيب بهن وهو الذي يقول :
 اشهد الله والملائكة الابد رار والعابدين اهل الصلاح
 انني اشتقي السماع وشرب الكأس والعص للخدود الملاح
 والنديم الكريم والخدام الفا ره يسعى علي بالاقداح
 واخبار غرامه وتهتكه وهو ولي للعهد طريفة . قال ابن عساكر في التواريخ
 الكبير : كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهل النساء يقال لها سفري ،
 فجعل يرأسها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيداً للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء
 الى بستان حسن ، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد
 وقد نقشف وغير حليته ودخلت سفري البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب
 البستان : من هذا ؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من
 النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان : ويلك اتدريين من ذلك الرجل ؟
 قالت لا ، فقال لها : هو الوليد بن يزيد ، وانما نقشف حتى ينظر اليك ، فغنت اليه بعد
 ذلك ، وكانت عليه احمر من منه عليها ، وقال الوليد في ذلك :

اضحى فؤادك بأوليد عميذا صباً كليماً للحسان صبيدا
 من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
 ما زلت ارمقها بعيني وامق حتى بصرت بها نقبل عودا
 عود الصليب فويح نفسي من رأى منكم صليباً مثله معبودا
 فسألت ربي أن أكون مكانه وأكون في لمب الجحيم وقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حذاً سفرى وإن قيل اني كلفت بذصرانية تشرب الخمر
 بهون عليّ أن نظل نهارنا الى الليل لا أولى أملي ولا عصرا

واحب الوليد سلمى بنت سعيد فكانت تحتجب منه . قال صاحب الاغانى : خرج
 الوليد لعله يراها فلقبه زيات مع حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي
 هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك
 وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد
 فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطمأع بعض الجوارى فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن :
 إن بالباب زيانا اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته ورآها فرجعت
 القهرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رأيتي فقلن له : لا حاجة بنا الى زيتك
 فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخا حسن الوجه مليح
 ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
 وأبيع الزيت بيبعا خامرا غير ربيع

وقال ايضا :

فما سكُ بُعَل بزوجي ولا عمل بألبان اللقاح
 بأشبهني من مجاجة ربي سلمى ولا مافي الزقاق من القراح
 ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الحيرة لانه بلغه خبر خمار كبرى
 نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدث خمار كان بالحيرة قال : فتحت بهوا

حانوقتي فاذا فوارس ثلاثة مثلهمون بعمائم خز قد اقبلوا من طريق السيادة ، وكنت موصوفاً بالخطافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي اسد هم اسقني رطلاً ، ففهمت فغسلت يدي ، ثم فحرت الدنان فظفرت الى اصفاها فبزائه واجذت قدحاً نظيفاً فلما نه ثم اخذت مندبلاً جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطلاً آخر فسقيته في غير ذلك القدح ، واعطيته غير ذلك المندبل فشرب . وقال : بارك الله عليك فما اظيب شرابك وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أكثر ، فلما رأيت نظافتك دعيتي نفسي الى شرب آخر فهاهنا ، فتأولته اياه على تلك السبيل ، وولّى راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال اعذرنا ورعي الى أحد الرجلين اللذين كنا به بصرة فيها دنانير ، وإذا هو الوليد بن يزيد فقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف . وقد أنكر الانبياء على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل على هشام بن عبد الملك وقدح بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين ما يحل لك الا خلعه فانفرت الخال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ، وجعل في تلك البرية روضة انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من الشام والحجاز والعراق فضلاً عن الاضياف والعفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان الوليد وهو ولي عهد يطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويعاف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن توفي هشام وبوبع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كللاني لوجاني وبشعري غنياني
انما الكأس ربيع يتعاطى بالبتان
وحما الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين استدعى اليه من جميع الافطار القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والعلماء والحجج ، ذكر ابن جرير الطبري ان الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيار عامل خراسان يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير واباريق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صائجة بخراسان يقدر عليها وكل باريق ويردون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح
وحملهم على الخيل وأعد خمس مائة وصيفة وامر بصنعة اباريق الذهب والفضة وتمسائيل
الظباء ورؤوس السباع والأيائل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد
يستمحته فسرّح الهدايا حتى بلغ لوائها بيهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشر يا أمين الله ابشر بتباشير
بابل يُحمل المال عابها كالنا بيز
بغال تحمل الخمر حقائبها طنابيز
ودل البريريات بصوت اليم والزير
وقرع الدف احيانا ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغانى : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل
المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد
قرد له ذنب وقال : ارقص وغنني شعراً يعجبني ، فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه
فأعجبه فأعطاه الف درهم .

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن مربيح والغريص ومالك بن
ابي السرح وعمر الوادعي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهدلي وبونس
الكاتب واسماعيل بن الهريذ وعطرد والابجر ودحمان وغيرهم .

ومن الشعراء طربح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي
واسماعيل بن يسار ويزيد بن خبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي
حفصة والقاسم بن الطويل العبادي وغيرهم .

واستدعى من الندماء الحنان شراة بن الزندبوذ ومطيع بن اياس الكناني وحماد مجرد
والمطيعي المغني . قال صاحب الاغانى : بعث الوليد بن يزيد الى شراة بن الزندبوذ ،
فلما قدم عليه قال : يا شراة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في
الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئي القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا الوجدتني فيه حمرا ،
فقال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : ابن يمجدها وعلي الخبير بها سقطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسأني أمير المؤمنين عما أحب ، قال
فما قولك في الماء ؟ قال هو الحياة وبشر كني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيته
قط الا ذكرت أمي فاستحييت ، قال : فالخمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل
الجنة ، قال : لله درك ! فأني شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن
يشرب على وجه الماء في كفن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً .
وقال لمطيع بن إياس : أي الأشياء أطيب عندك ؟ قال صهباء صافية تمرجها
غانية بماء غادية ، قال : صدقت . واستدعى أيضاً حماد الراوية ليروي له شعر العرب .
هذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت نعمة محالسه وفيهم
يقول :

سقيت أبا كامل من الأصفر البالي
وسقيتها معبداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ودم وبغرم نائلي
فما لاني فيهم سوى حاسد جاهل

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفث السحر في أرجاء
تلك المجالس . قال حماد الراوية : دعاني الوليد يوماً من الايام في السحر ، والقمر
طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطحب ، فقال : أقشدني النسيب فانشدته
أشعاراً كثيرة فلم يهش شيء منها حتى انشدته قول عدي بن زيد :
أصبح القوم قهوة في الأباريق تحتذى
من كميت مدامة حبذا تلك حبذا !

فطوب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف سترا
خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنشور في أيديهم الاباريق
والمناديل ، فقال اسقوهم فابقي احد الاسقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فما زال
يشرب ويسقي الى طلوع الفجر ، ثم لم يخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط
فالقونا في دار الضيافة فما أفتنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغاني أيضاً :
اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدبنة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلته فالت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معها ثالث ، وحيء بمعبد فرأى سترا مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم فوجئت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحيت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غني :

ما زال يعدو عليهم ربب دهرهم حتى تفانوا وزيت الدهر عداء
فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بشباب غير الشباب الأولى ثم شرب وسقى معبدآ ، ثم قال له غني يا معبد :

يا ربع مالك لا تحيب متبا قد عاج نضوك زائراً ومسلماً
جادت كل سحابة هطالة حتى ترى عن زهره متبسماً
لو كنت تدري من دعاك اجبته وبكيت من حرق عليه اذا دما

فغناه ، وأقبل الجواري يرفعن الستر ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبدآ ، ثم قال له غني :

عجبت لما رأيتني اندب الربيع الحميلا
واقفا في الدار ابكي لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لافاس لا يملون الذميلا
كلما قلت : اطمانت دارهم ، قالوا : الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فودوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبدآ ثم أقبل عليه الوليد فقال : يا معبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكنتم انصرارهم . وقد يغلب عليه المحزون فيسري باصحابه الى حيث يطيب لهم التصابي والغناء وانخر قال :

حبذا ليقي بدير بونا حيث نسقى شراينا ونغني
 كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
 ومررنا بنسوة عطران وغناء وقهوة فزولنا
 وجعلنا خليفة الله فطرو من مجونا والمستشار نيجنا
 وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت
 في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهم ويصطاد ويعقد مجالس الانس
 والشراب والغناء قال :

ولقد قضيت وإن تجلّ لمي شيب على رغم العدي لذاتي
 من كعبات كاللثمي ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
 في فتية تأبى الهوان وجوههم شم الانوف ججاجح سادات
 ان يطلبوا بترانهم يعطوا بها أو يطلبوا الأبدركوا بترات
 وقال :

أصبح اليوم وليد هائماً بالفتيات
 عنده راح وابو بق وكاس بالفلق
 ابعثوا خيلاً غليل ورماة لرماف

قال حماد الراوية يصف مجلساً من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد
 وهو بالبغراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممد وعليه ثوبان اصفران
 ازار ورداء يقينان الزعفران قيناً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل
 مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المتون وربها تنوجع فانشدته حتى اتيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس
 خمر ما بين الذؤابة والذحل ، ثم قال يا مالك غني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مطأعا

ففعل ثم قال له غني :

جلا أمية غني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل ثم قال له غني :

اتسى إذ تودعنا سليحي بفرع بشامة سقي البشام
ففعل ، ثم قال له يا سبرة أو يا أبا سبرة اسقني . . . فأناه بقدرح معوج فسقاه به
عشرين ، ثم آناه الخاحب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين للرجل الذي طلبت بالباب ،
قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شاباً أحسن وجهاً منه في رجله بعض الفدح فقال يا سبرة
اسقه فسقاه كأساً ، ثم قال له غني :

وهي إذ ذاك علياً مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبذ اليه الثوبين ، ثم قال له غني :

طاف الخيال فرحياً الفأ برؤية زيفاً

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ،
وانت تركتنا بجزر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت
قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال
حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون
والشراب حتى بولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه
المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب التي نفسه في البركة ، وكان معه من
المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمع .

أدبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن أبي
مساحق السلمي وكلاهما أدب شاعر ، ولكن الأول يتهم بالخلاعة والمجون ويرمى
بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصوفاً
بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي
كان يرى فيه الوليد مؤدباً وندماً .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الإسلامية كذكر القرآن وبعض الأحكام
الشرعية كالخلال والحرام والبدعة ، قال بذكر القرآن في أرجوزة جعلها خطبة في

أحدى الجمع ، وفيها مواظب ونصائح كثيرة :

ثم القرآن والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
وقال من أبيات :

وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعاً

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعه
وتهتكه . قال ابن عساكر في التاربخ الكبير : « وعن يحدث من بني أمية الوليد بن
يزيد ، ولم تقع له إلينا رواية » .

وكان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع
والعیدین . قال الهيثم بن عمران : لما بويع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :
ضممت لكم إن لم ترعني منبتي بأن سماء الضرة عنكم ستقلع
وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبهم
اليوم بشر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمد في يسرنا والجهد
وأتم الأرجوزة .

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسleme بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين !
إن عقي من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسleme الصيد لمن رمى ، واختل
الشعر فوهى ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزودوا فأب خير الزاد
التقوى » . ومن كلامه الفصيح قوله : « إن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدةً أبطرت
فأساء حمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه إلى حيلته وحسبه وبيته
ورحطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغيرة ، وانكشف عنه عماية الغي والسلطان ، ذل
منقاداً ، وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له » .

وقوله : « يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهبط
المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلمين فجنوبه
النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ، أقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة ،
وأشبه إلي من الماء إلى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال » .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأزمنناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دأثم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ويمكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومدّ لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وانتفعت عما به أنعم ، كنت أنا الزهيل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها نقله . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أدبياً ظريفاً ، وفصيحا حاضرا الجواب ، كما كان مشغوقاً بالغناء ، عارفاً به وبآلانه . قال صاحب الأغاني : وعن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدّف ، على مذهب أهل الحجاز . قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمي حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هاتِ العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يخفي أمزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انههر ، فقلت : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ؟ فقال : اسكت وبلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لا تقتلنك . فوالله ما حكيتُه عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، ف قيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امشِ لي بالدّف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فأبى أخطأت فقومني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلّم منك .

ومن مشهور صنعتِه في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباحا التجيبي من عسقلان
 تربك القذاة وعرض الإنا * ستر لها دون لمس البنان
 وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب ،
 فقال لي : اشرب ! فشربت ، وطرب وغني صوتاً واحداً ، وأخذ دفافة فدفف بها
 فأخذ كل واحد منا دفافة يدفف بها .

وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ،
 وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني
 الوليد بن يزيد وأمر لي بالعين لنفقي وألفين لعيالي ، فقدمت عليه ، فلما دخلت
 داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت باخلافة ، فقال
 لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ثاروا » ، فلم أدر ما يعني ،
 قال : ويحك يا حماد ! « ثم ثاروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا بدري عما
 يسأل ، ثم انتهت ، فقلت :

ثم ثاروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
 قدمته على عقار كمين الد بك صني سلافها الراووق
 ثم فض الخثام عن صاحب الدن وقامت لدى اليهودي سوق
 فسباحا منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق

الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في
 يدها قدح والله ما أدرى أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : رديه ، فما
 أنصفاه ، تغدينا ولم تغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يميناً لا تديرها ليسار

فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة موروثة ، وشرب حتى سكر ، فأقمت عنده
 مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

وكان يستدعي المنجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوماً فدخل
 عليه رجلان كانا منجمين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤبداً
 منصوراً يستقيم لك الناس ويحيي لك الخراج . فاغتممتها وأردت أن أخدعه كما خدعناه

فقلت يا أمير المؤمنين كذبا نحن اعلم بالرواية والانا ز وضررب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان يكسرنني ولا ما قلت يغرنني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولا صرفنه في حقه صرف من يموت في غد .

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوما العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوقا قال اني لاجبين وكيف لا احبين ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس رومية .

مجنونه وخلأعنه ورميه بالزئزقة

الوليد ما جن خلع متهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لموه وعبته . ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة بدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ثاروا عليه وخلصوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقیصة ونخلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والتعهر وسقوط المروءة والاحادما لا يمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما ثبتت الانسان في أخبار مجنون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم المجان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كاشعب وحماة عجرد ومطيع بن إياس والمطيني وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر المجيد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بالهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيها طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائما في كل واد
ان في ذلك صلاحي وفلاحي ورشادي

ورموه بالاحاد وأتهموه بالزندقة ونخلوه ابيانا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تهرر خلع خليفة وقتله وقد نفي عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد بن الاحداد ، الزندقة أولا ، هما أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لا يدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف بسعي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية ، والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجحت في أيام بني أمية فاذا كان الوليد يخرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضي لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن مشراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلّم فينا فإني وقال والله ما عمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره أيام .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولولم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن بالخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عيشها ولموها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعتاب والفخر والرثاء والمهجاء ونظم بعض الحوادث كعهد البيعة لولده وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه الجون فان صمة النبل تلوح على شعره من
حيث يريد ولا يريد كقوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني

وكقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمآثرات والحسب
ما في الوري مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل أبي
قال المأمون لجالسائه أنشدوني بيتا للملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر
ملك فأنشده بعضهم قول اسري القيس
أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبشدران
قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضرة فكانه
بؤنب نفسه على التعلق بأعرابية . ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول
الوليد :

اسقني من سلاف ربي سليبي واسق هذا النديم كأسا عقارا
أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك ومثل قوله :
لي المحض من ودمهم ويغمرهم فائلي
وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليذل المعروف لهم ويمكنه
استخلاصها لنفسه .

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والهلالة حتى نفصا به سيفه أكثر شعره الى
اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعم الحاضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف
ولا يبالي ما يقول ، ولأنه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلفاء ، ويصور دلال
النساء . واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفاسف المبتذل الركيك ،
عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والإسلام ، مثل عدي بن زيد العبادي
من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي من أهل الطائف وهو جاهلي
أدرك الإسلام . أما الشعراء المسلمون الذين بلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم :
عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشون حضرون غزلون • ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر
الحضريين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء المولدين
الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أت المولدين انقوا اللين بالدرس
والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؟ أما أولئك فقد كانوا يزسون أنفسهم
على سجيتهما •

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سليحي واشتهر ورواه الناس بادي وحضر
وتهادته العذارى بينها ونغنين به حتى اشتهر
لو رأينا لسليحي أثراً لسجدنا ألف ألف للآثر
والفخذناها إماماً مرتضى ولكانت حجبنا والمعتبر

وقد يبلغ به اللين الى التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمي خرجت يوم المصلى
فإذا طير مليح فوق غصن يتغلى
قلت من يعرف سلمي قال ها ثم تعلى
قلت باطير أدن مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمي قال لا ! ثم تولى
فتكا في القلب كلما باطناً ثم تعلى

وهو كما يجب فرض هذا النوع من الشعر يجب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان
مثله • قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من
شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هتئ لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته
لعبار ذي كتاز :

حبذا انت يا سلا مة الفين حبذا
ثم ألفين مضعفين وألفين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حدوة من صباية تركته مفلذا

أشتهي منك منك . لك مكاناً يجنب ذا
فضحك حتى استلقي ، وطرب وصفق يديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل
يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .
وكان يستحسن شعر عدي بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية
استنشدني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادي إلا قصيدة عمر بن
أبي ربيعة :

طال ليلى وتعاني الطرب واعتراني طول هم ووصب
كما كان يطرب للسبل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه
لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيات صبا شرابي واسقاني من ريق بيضاء رود
إن دائي الظما وإن دوائي شربة من رضاب ثغر برود
طرب وقال من لي بمزاج كأمي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم
بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إن فائنا ذاك فهذا .
كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين . على أن له من الجزل ما يثبتك
على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعنايه جزل رصين يحاكي
شعر الفحول كقوله يعاتب هشاماً :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلى الناس والأحوال بعدي
فتندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي
وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مدى كربي وإقداي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بني لي الحمد بان لم يكن وكلا على منار مضيات وأعلام
حلت من جوهر الأعيان قد علموا في باذخ مشمخر العز ق مقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعهم يسمو إلى فروع طود شامخ سامي

و كقوله حين ثار الناس :

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا إذا هموا بأحدى همتهم حسرت لهم رأسي فلا أنفع
وشعره بجماله . قطعاً وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طويلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفة من الشعراء جعلوا الغزل فنهماً ؛ أو عنوا به أكثر
من بقية فنون الشعر كجهميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس
ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من
كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتمثك ؛ أما غزل الوليد فقد
كان من غزل الحنان الخلفاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كطبيع بن إباض وعمار
ذي كنانز واللبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات
وباعتبار الحب شرارة نفسانية وتصوير مواقف الغرام تصويراً أقرب إلى الفجور والتمثك ،
فهو بالمجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هذا النوع ، منه الرقيق ومنه اللين ومنه
السفساف ويندر فيه الجزل ولكنه في كل أنواعه صورة صادقة عن نفس الوليد الماجنة
الشرهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل
الصنعة واضح المعاني يلتبس بالثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يخلص في حبه إلا لسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن
عفان فلقد لحقها في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جن بها جنوناً وطلبها فلم
تجبه فبقي يلوب عليها أكثر من عشرين سنة يمتثال لينظر إليها خلصة كأن يجعل نفسه
زياتاً ويقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً
من الغزل وغزله فيها مجموعة تربك نفس الحب سيف شتى أطوارها فتارة ينأشدها الحب
والقراية كقوله :

يا سلمي يا سلمي كنت للقلب عذاباً

يا سلمي ابنة عمي برد الليل وطابا

أيما واشٍ وشي بي فاملئي فاه ترابا

ربقها في الصبح مسك بإشر العذب الرضايا

وأخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمي حياتي وفي يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك

ومن لو مت مات - ولا تموتي - ولو أنسي له أجل بكاك

ومن حقا لو اعطي ما تنى من الدنيا العريضة ما عداك

ومن لو قلت مت فأطاق موتا إذا ذاق المات وما عصاك

أثبي عاشقا كلفا معنى إذا خدرت له رجل دعاك

وطورا يستعذب ما يلاقيه في حبهما من المشاق :

لا أسأل الله تغييرا لما صنعت قامت وقد أسهرت عيني عيناها

فالليل أطول شيء حين أفقدما والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطورا يضيق بتمتعها ذروا فيسب أباهما :

وقالت عند هجوتنا أباهما أردت الصرم فانتده انتداها

أردت بعادنا بهجاء شيخني وعندك خلة تبغي هواها

فإن رضيت فذاك وإن تمادت فبها خطبة بلغت مداها

ثم يستغفرها ويتوب إليها .

غضبت سلمي علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباهما

كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها

فلئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمي خلاف هواها

فشككت اليوم سلمي فسلمي ملأت أرضي معاً وسماها

غير أني لأظن عدوا قد أتاها كاشحا فأذاها

فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وأحيانا يلاغيها كما تلاغي الام طفلها :

سلمي ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحسيت
ولا شك في أن حبه لسلي رقق من عواطفه وأصلح من غزله ما ألح عليه المحبون
ونفخ فيه روح المحبين ورقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد يتصيد ذات يوم
فصادت كلابه غزالاً فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلي ثم
أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما تنكره حين أزجي طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذلك لقد كان انذبح
أنت يا ظلي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورح
ولقد ظلت سلمي هذه بمنعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى يوبع بالخلافة
فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم
تتكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

وصف الخمر

لم يجرّد الوليد في فن من فنون الشعر كما جود في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في
هذا الباب على قلته أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في
صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعته
في النفس من الأريجية مع إمام بلونها ورائحتها على سبيل الإيجاز . أما الشعراء
الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها فخرجاً وتأثماً ومن ذكرها منهم أو من النصارى
كأنهم لا يخطئون تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي الجميل والغريب أن الشعراء الغزلين في
العصر الأموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تخرجوا عن وصفها .
أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاً لونياً ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في
الكأس صرفاً ومزوجة وشبهها بالقيس والشرر والذهب ووصف دنائها وزقاقها وجرارها
وشبه جيبها بلمعة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون
والعريضة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجبي المغموم بالطرب وانعم على الدهر بابتة العنب
واستقبل العيش في غضارته لا تنقف منه آثار معتقب
من قهوة زائنها نقادها فهي عجوز نعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جالوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرئب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران سبأها النجبي من عسقلان
تربك القذاة وعرض الأنا سترها دون لمس البنات
لما حجب كلما صفقت تراها كلمة برق يان

وقال :

عسلاني واسقياني من شراب اصبهاني
إن في الكأس لسكا أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع يتعاطى بالبنات
وحيا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كابني نواس والحسين بن الضحاك الخليل وغيرهما ممن آمنوا في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغانى إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياذ فمنها وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعا فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجبي المغموم بالطرب وانعم على الدهر بابتة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراعة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبي عن نفسها»

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بصدق اللهجة والصرامة وعدم التصنع في معانيه وألفاظه ، قصره على نفسه فافتخر ونفزل وعاتب ووصف الخمر ورثى وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفياه وأقاربه وأحبابه . وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتهما فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويبعث ويمزح فيكون ظريفاً فكها . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمناً :

أناي سنات بالوداع المؤمن	فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الخافي عليه توابه	هبت وشلت من يدك الأصابع
يقولون لا تجزع وأظهر جلادة	فكيف بما تحنى عليه الأضالع
و كقوله يرثي سلمى بنت سعيد :	
يا سلم كنت كجنة قد أطمعت	أفنانها ذات جناها موضع
أربابها شققا عليها نومهم	تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسح الربيع ظنونهم	نثر الخريف ثمارها فتصدعوا
وقوله :	

ألمأ نعلها سلمى أقامت	مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجتوا	بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهها كان يقصر عن مداه	شعاع الشمس أهل أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين	وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وكذلك في العتاب فإنه يشتد أمره لأنه جاد مخيط يعاتب الخليفة الذي حاول أن	

يخلعه من ولاية العهد فتري الأسي والغضب والاستعطف والتقريع واللين والشاس مع بعضها في عتابه كقوله :

أليس عظيماً أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالتوافل
فارجع محمود الرجاء مصرداً بتحلثة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفه بالأفامل
وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرت طت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي
وكقوله :

كفرت ببدأ من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعي فلو كنت ذا حزم لخدمت ما تبني
أراك على الباقيين تبني ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تبني
كأنني بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت أنا حين ياليت لا تغني
وكقوله :

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفتهم بطروا وإن أهنئهم ألفتهم ذللاً
انشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فأضر به لهم مثلاً
بيننا يسمنه للصيد صاحبه حتى إذا ما استوى من بعد ما هزلاً
عدا عليه فلم تضره عدوته ولو أطاق له أكلاً لقد أكلاً

وهكذا فإن عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افتخر ومما يرأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ
الجاهلية وشموس العرب كقوله :

انا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مدى كربي وإقداامي
 اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
 بقي لي المجد بان لم يكن وكلا على منار مضيئات وأعلام
 حملت من جوهر الاعياض قد علموا سيف باذخر مشمخر العز قمقام
 صعب المرام يسامي النجم مطلعته يسمو الى فرع طود شامخ يسامي
 وما عدا ذلك من المعاني التي عاجلها كشماته بموت هشام وهجائه فقليل لا يعتد به
 ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة

خليل مردم بك



ديوان

الوليد بن حديد

صرف المؤلف

١

على الدور التي بليت سفاها قفا يا صاحبي فسا لهما
دعك صباة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك ما قياها
وقالت عند هجرتنا أباها : أردت الصبر فائده انتداها
أردت بعدا لنا بهجاء شيعي وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فبها خطئة بلغت مداها

٢

غضبت سلمي علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم هي ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمي خلاف هواها
فشككت اليوم سلمي فسلمي ملأت أرضي معاً وسماها
غير أنني لأظن عدواً قد أتاها كاشحاً وأذاها
فلها العني لدينا وقللت أبداً حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وإن^(١) أنهرت عيني عينها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

٤

وصفت عندي سليمي فاشتغى قلبي يراها
لو يرى سليمي خليلي لدعا سليمي إلاها
ورأى حين يراها رب طامنين وطاها

صرف الباء

٥

تلتب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله بمنه في طعامي وفل لله بمنه في شرابي
بذكر في الحساب ولست أدري أحق ما يقول من الحساب

٦

قد راح نحو العراق مشغله فصاره السجن بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قنب ولا خطام وحوله جابه
فقل لدعاء إن سررت بها لن يعجز الله هارب طلبه
قد جعل الله بعد غلبتكم لنا عليكم يا دلد الغلبه
لست إلى هائم ولا أسد ولا إلى نوفل ولا الحجبه
لكنما أشجع أبوك سل أ كلبي لا ما يزوق الكذبه

٧

إصدع نجي الموم بالطرب وأنعم على الدهر بانه العنب
واستقبل العيش في غضارته لا نقف منه آثار معتقب

(١) نامت وقد، كما في نهاية الأرب ج ١ ص ١٣٥

من قهوة زللتها نقادتها فهي عجوز تعلو على الحقيب
 أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
 فقد تجأت ورق - جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
 فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
 كأنها في زجاجها قبس تزهو ضياء في عين مرئقت
 في فنية من بني أمية أهل الحمد والمآثرات والحسب
 ما في الوري مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم - بثل أبي

٨

إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب
 نظرة قد وقرت في قلب من أم حبيب
 فإذا ما ذقت فاها ذقت عذبا ذا غروب
 خالط الراح بمسك خالص غير مشوب

٩

يا سليحي يا سليحي كشت للقلب عذابا
 يا سليحي ابنة عمي برد الليل وطابا
 أياها واش وشي بي فاملئي فاه ترابا
 ريقها في الصبح مسك باشر العذب الرضا

١٠

قد تمني معشر إذ طربوا من عقار وسوام وذهب
 ثم قالوا لي تمن واستمع كيف ننحو في الاماني والطلب
 فتعنت سليحي انها بنت عمي من لهام العرب

١١

أم سلام أنبي عاشقا يعلم الله يقينا ربه
 أنك من عيشه في نفسه يا سليحي فاعلميه حسبه
 فارحمه انه يهذي بك هائم صب قد أودى قلبه

أنت لو كنت له راحة لم يكدت يا سلمي شربة

١٢

ولقد مررت بنسوة أعشيتني حور المدامع من بني المنجاب
فيهن خوعة مليح دلم غرني الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ماثوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب^(١)

صرف التاء

١٣

سلّم ثم النفس عنها بعلندة علافة
لتقي الأرض وتهوي يخفاف مدحجات
ذاك أم ما بال قومي كسروا سن قتافي
واستخفوا بي وصاروا كقروء خامسات
أصبح اليوم وليد هائما بالفتيات
عنده راح وإبري قي وكأس بالفلاة
ابعدوا خيلا غليل ورماة لرماة

١٤

ولقد قضيت وإن تجللي لمي شيب على زغم العدى لذافي
من كاعبات كالدمي ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوان وجوههم شم الأنوف ججاج سادات
إن يطلبوا بترانهم يعطوا بها أو يطلبوا لأبدر كوابرات

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوي حتى رأيت كواعبا أترابا
يرفلن سيفي وشي البرود عشية شبه الأراك وقد ملئن شبابا
قرين حوراء المدامع طفلة أربين من عجب بها أربابا
تلك التي لا شك حقا أنها خلقت لحينك فتنة وعذابا
كلمات مختارة (ص ٢٦)

٤٥

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيب الرشدة في صلي هدينا
فأشكر منك ما تسدي وتحيي أبا عثمان أميتة وميتنا

١٦

أراني قد تصاييت وقد كنت تناعميت
ولو يتذكرني الحب لقد صمت وصليت
إذا شئت تصبرت ولا أصبر إن شئت
ولا والله لا بصبر في الديمومة الخوت
سأبقي ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلك ألفين وفديت وحييت
ألا أحب يزور ذا من سلمى يهروت
غزال ادعج العين نقي الجيد واليث

١٧

أسلمى تلك حيت قفي تخبرك إن شئت
وقبلي ساعة نشك اليك الحب أو بيثي
فما صهبا لم تكس قذى من خمر يهروت
ثوت في الدن أعواماً خنبا عند حانوت

١٨

رب بيت كأنه منن سهم سوف تأتيه من قرى يهروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت فحوها حيت
أم سلام لا برحت بخير ثم لازت جنتي ما حيت
طربا نحوكم وتوقا وشوقا لاد كار بكم وطيب البيت
حيثما كنت من بلاد وسرت فوالله الا لدم ما فيه خشيت

صرف الجيم

١٩

إني فكرت في عمر
إنه للمستدير به
حين قال القول فاختلفا
فمر قد طمس السرجا
ويغني الشعر ينظمه
سيد القوم الذي فاجا
أكل الوادي صنعة
في لباب الشعر فاندجا

٢٠

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت وهاجا
قلت عجب نعوي أسألك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا تديمي قم فأنث لي سراجا
بفلاة ليس ترعى أنبت شيئا وحاجا

صرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكة الأبرار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتي السماع وشرب الكأس والعرض للحدود الملاح
والنديم الكرم والخادم الفا ره بسى علي بالأقداح^(١)

٢٢

إني أبصرت شيخا حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعا خاسرا غير ربيع

(١) وزاد صاحب حلبة الكميث ص ٩٨

وظريف الحديث والكاعب الطفلة تختال في شموط الوشاح

٢٣

ولقد صدنا غزالاً سافحاً قد أردنا ذبحه لما صنع
 فاذا شيبك ما ننكره حين أزجي طرفه ثم لمح
 فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
 انت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً روح

٢٤

فما مسك بعل يزنجيل ولا غسل بالبان اللقاح
 باشهى من مجاجة ربق سلمى ولا مافي الزقاق من القراح
 ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

٢٥

تذكر شجوه القلب القريح فدمع العين منهل صفوح
 ألا طرفتك باللقاء سلمى هدوءاً والمطي بنا جنوح
 فبت بها قرير العين حتى تكلم ناطق الصبح الفصيح

صرف الدال

٢٦

أنوعد كل جبار عنيد فما أنا ذاك جبار عنيد
 إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله منقني الوليد

٢٧

فان تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
 وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلى الناس والأحوال بعدي
 وتندم سيف الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

٢٨

أَلَمْ تَعْلَمْ تَعْلَمًا سَلَمِي أَقَامَتْ
لَعَصْرَكَ يَا وَلِيدُ لَقَدْ أَبْجَعُوا
وَوَجَّهًا كَانَ يَقْصُرُ عَنْ خُذَاهُ
فَلَمْ أَرِ مِثْقَالَ بَيْتِكَ لَعْنٍ
وَأَجْدَرُ أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ مَلِكًا
مَضْمُونَةً مِنَ الْعَصْرِ إِذْ خَلَدَا
بِهَا حَسْبًا وَمَكْرَمَةً وَبُخْدَا
شِعَاعُ الشَّمْسِ أَهْلٌ أَنْ يَنْدَى
وَكَثِيرٌ جَازِعًا وَأَجَلٌ فَقْدَا
يُزِيلُكَ جَلَالَةً وَيُسِرُّ وَجْدَا

٢٩

أَلَمْ تَعْلَمْ سَلَمِي أَقَامَتْ بِمِجْمَعِهِ
مَضْمُونَةً قَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ الْبُحْدَا

٣٠

وَمَنْ يَكُ مِفْتَاحًا لَخَيْرٍ يَرْبِدُهُ
فَأَنْتَ قِفْلُ يَاسَعِيدٍ بِنِ خَالِدٍ

٣١

أَضْحَى فَوَادُكَ يَا وَلِيدُ عَمِيدَا
مِنْ حُبِّ وَاضِحَةِ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٍ
مَا زِلْتُ أَرْمِقُهَا بِمِثْقَالِ وَاقٍ
عَوْدَ الصَّلِيبِ فَوَيْحَ نَفْسِي مِنْ رَأْيٍ
فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ أَكُونَ مَكَانَهُ
صَبَاً كَلِيلاً لِلْحَسَنَاتِ صَبُودَا
بُرُزْتُ لَنَا نَحْوَ الْكَنِيسَةِ غِيدَا
حَتَّى بَصُرْتُ بِهَا نَقْبُ عَوْدَا
مِنْكُمْ صَلِيبًا مِثْلَهُ مَعْبُودَا
وَأَكُونَ فِي لُحْبِ الْجَعِيمِ وَقُودَا

٣٢

يَا مَنْ لَقَبُ فِي الْهَوَى مَشْتَبِ
سَلَمِي سَهْوَاهُ لَيْسَ بِعَرَفٍ غَيْرَهَا
إِنَّ الْقَرَابَةَ وَالصَّادِقَةَ أَلْفَا
يَا قَلْبُ كَمْ كَلَّفَ الْفَوَادُ بَغَادِقَ
بَلْ مِنْ لَقَبٍ بِالْحَبِيبِ عَمِيدِ
دُونَ الظَّرِيفِ وَدُونَ كُلِّ تَلِيدِ
بَيْنَ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ بَنَاتِ سَعِيدِ
مَمْكُورَةٍ رَبِّياً الْعِظَامِ خَرِيدِ

٣٣

إقرني على الوليد سلاماً عدد النجم قلّ ذا الوليد
حسداً ما حدثت أختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا ن ليلاً فهبج قلباً عميدا
وأرتق عيني على غرة فباتت بمزن نقامي السهودا
نؤمل عثايف بعد الولي د للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجي لتلك الوليدا
على أنهما شسعت شسمة فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القريه ب عنها ليؤنس منها البعيدا

٣٥

ليت حظي اليوم من كـ لي لماش لي وزاد
قهوة أيدلب فيها طارفي ثم تلاديه
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

٣٦

الحمد لله ولي الحمد أحمده سيف يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قريب
أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلاها
ما إبت له في خلقه شريك قد خضعت للملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه يهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا وفي الكتاب واعظاً بشيرا

ليظهر الله بذاك الديننا
من يطع الله فقد أصابنا
ثم القرآن والهدى السبيل
كأنه لما مضى لديكم
إنكم من بعد أن تولوا
لا تتركون نصحي فأني ناصح
من يتق الله يجد غب التقي
إن التقي أفضل شيء في العمل
خافوا الجحيم إخواني لعلمكم
قد قيل في الأمثال لو علمتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده
فاستغفروا ربكم وتوبوا
وقد جعلنا قبل مشركينا
أو يعصه أو الرسول خابا
قد بقيا لما مضى الرسول
حي صحيح لا يزال فيكم
عن قصده أو نهجه تضلوا
إن الطريق فاعلمن واضح
يوم الحساب سائراً إلى الهدى
أرى جماع البر فيه قد دخل
يوم اللقاء تعرفوا ما مركم
فانتفعوا بذاك إن عقلتكم
وما يقدم من صلاح يحصده
فالموت منكم فاعلموا قريب^(١)

صرف الرأ

٣٧

أهينة حديث القوم أم هم
عزيز كانت بينهم نبياً
كأننا بعد مسلمة المرجى
أو آلاف هجان في قيود
فليتك لم تمت وقد اك قوم
سقيم الصدر أو شكس نكيد
سكوت بعدما منع النهار
فقول القوم وحي لا يحار
شروب طوحت بهم عقار
ثافت كلما حنت ظؤاد
تربيع غبتهم عنها الديار
وأخر لا يزور ولا يزار

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية
حدونا وسافونا فتحن كما ترى
بودون لو كانوا بما لهم افتدوا
نسوق كما سافوا ونحدو كما حدوا
حماسة البحري ص ١٦١

٣٨

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعال وعاصم
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ثقيف وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن بك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سفرى وإن قيل إنني كلفت بنصراتية تشرب الخوا
يهون علي أن يظل نهارنا إلى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

١٤

شاع شعري في سليمي وأشتهر ورواه الناس بادر وحضر
وتهادته العذارى بينها وتغنين به حتى اشتهر
قلت قولاً لسليمي معجبا مثل ما قال جميل وعمر
لو رأينا سليمي أثرا لسجدنا ألف ألف للأثر
واتخذناها إماما مرتضي ولكانت حجتنا والمعتبر
إنما بنت سعيدة قره هل خرجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
نشرها صرفاً ومزوجة بالسخن أحيانا وبالفاقر

٤٣

عوجا خليلي على المحضر والربع من سلامة المقفر
عوجا به فاستنطقاه فقد ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكرني سلمى وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجرا
بالربع من وديان مبدى لنا ومحوراً ناهيك من محور
في محضركنا به نلتقي يا حبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحي به جيرة فيأهضي من سالف الأعر

٤٤

إسقي يا يزيد بالقرقارة قد طربنا وحنت الزمارة^(١)
إسقي إسقي فإن ذنوبي قد أحاطت فمالها كغارة

٤٥

إسقي يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلي واستنارا
إسقي من سلاف ربق سليمي واسق هذا النديم كأساً عقارا

٤٦

أرسلني بالسلام يا سلم إني منذ عاقتكم غني فقير
فالفني إن ملكك أسرك والفة رباني أزور من لا يزور
وبح نفسي تسلو النفوس ونفسي في هوى الريم ذكرها ما يحور
من لنفسي نتوق أنت هواها وفؤاد بكاد فيك يطير

٤٧

هلك الأحول المشوم فقد أرسل المطر
تمت استخلف الوليد فقد أورد الشجر
فاشكروا الله إنه زائد كل من شكر

(١) وبعبه: من شراب كأنه دم خشف عتقته شيمة الخمار

مسالك الأَبصار ج ١ ص ٣٩٨

٤٨

أدري الكأس مينا لا تدريها إيسار
إسقى هذا ثم هذا صاحب العود النضار
من كميت عنقوها منذ دهر في جرار
ختموها بالأفاويه وكافور وقار
فلقد آيقت أني غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار
وذروا من يطلب الجنة يسعى لتبار

٤٩

إسغني يا زبد صرقا إسغني بالطرجهارة
إسغنيها مرة يا خذني منها استدارة
إسغنيها كي تسلي ما بقي من حرارة^(١)

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تبك^(*) في العير قفي إن شئت أو سيري
فلما أت دنأ^(**) الصبح بأصوات العصافير

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٠٨

خرجنا نبغني الصيد بأمثال اليعافير
إذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فأمدت بأهذاب وتشمير

الكامل للمبرد ص ١٢ طبع أوروبا زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

صرف العين

٥٠

خفّ من دار جبرقي يا ابن داود أنسها
أو لا تخرج العرو من فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم نقض ليسها
برزت كالللال في ليلة غاب نجمها
بين خمس كواعب أكرم الخمس جنبها

صرف العين

٥١

أناني سناني بالوداع لمؤمن فقلت له : إني إلى الله راجع
ألا أيها الخافي عليه توابه هبت وشأت من بديك الأصابع
بقولون : لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركب المختبون أبلغوا سلامي مكان البلاد فأسمعوا
وقولوا أناكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الضر عنكم سنقلع
سيوشك إلخاف معاً وزيادة وأعطية مني عليكم نبرع
محرمكم دهبانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطعم

٥٣

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين نزع
وكانوا إذا هموا بأحدى مهناتهم حسرت لم رأسي فلا أنقع

٥٤

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد طيما
كفناه بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به أصبا
وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرفلن لي أجمعا

٥٥

يا سلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها داف جناها موضع
أربابها شفقاً عليها نومهم تحليل موضعها ولا يهجموا
حتى إذا فسح الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

٥٦

يا وبيع جندي الأولى جاروا وما نظروا في رغب أسر عمود الدين لو وقعوا
ألقحها ثم شالت عاقداً أنفاً ما تنجوها فيلقوا بعدها ربعا

حرف الغاء

٥٧

أيا حكم المبتول لو كنت تعزي الى أسرة ليسوا بسود زعانف
لأيقنت قد أدركت وترك عنوة بلا حكم قاض بل يضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثا ن عذرة معتب أسفا
فلست كمن بودك باللسان ويكثر الخلفا
عتبت علي في أشيا * كانت بيننا مرفا
فلا تشمت بي الأعدا * والجيران ملتفها
تود لو أنني لحم رأته الطير فاختطفها
ولا ترفع به رأساً عفا الرحمن ما سلفا

٥٩

طابَ هومي ولذَّ شرب السلافةِ إذ أَنانا نعيُّ مَن بالوصافةِ
وَأَنانا البريدُ يَني هِشامًا وَأَنانا بِخاتمٍ للخلافه
فأُصطبِحنا بجمرِ عانةٍ صرفًا ولمَونا بِقينةٍ عزَّاهُ

صرف القاف

٦٠

أَسعدُهُ هل اليك لنا سبيلُ وهل حتى القيامة من تَلَاقِ
بلى ولعل دهرًا أَنتَ بَوَاقِي يموتُ من حليلك أو طلاقِ
فأُصبح شامتًا ونقرُّ عيني ويُجمع شملنا بعد افتراقِ

٦١

فلما أَصانتُ عصافيرُهُ ولاحتُ تباشيرُ أرواقه
غدا بَقَترِي أَبَقًا عارِبًا وبَلِيسُ نَاصرُ أوراقه

٦٢

أُمِّ سَلامَ ما ذَكَرْتُكَ الأَ شرقت بالدموع مَني المَآقي
أُمِّ سَلامَ ذَكَرْتُكُم حيثُ كنتم أَنتَ دائِي وفي لسانك راقِ
ما لقلبي يحول بين التراقي مستخفًا يتوق كلُّ مَشاقِ
حذرًا أَن تبين دارُ سُلَيمي أو يصيح الداعي لها بفراقِ

صرف الالف

٦٢

أَراني اللهُ يا سَلَمي حَيَاتي وفي يَومِ الحِسابِ كما أَرَاكَ
أَلّا تُجِيزين من تَوَمتَ عَصراً ومن لو تَظَلَّيْن لَقد قُضَاكَ
ومن لو مِتَ مات ولا يَمُوتُني ولو أَنسي لَه أَجَلُ بِكَأِكَ

ومن حقاً لو أعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت موت فأطاق موتاً إذا ذاق المات وما عصاك
أثبي عاشقاً كافاً معنى إذا خدرت له رجل دعاك

٦٤

أمّ سلام لو أقيت من الوجد عشير الذي أقيت كفاك
فأثبي بالوصل صبا عميداً وشفيقاً شجاء ما قد شجباك

حرف الهم

٦٥

دعوا لي سليمي والطلاء دقينة وكأماً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش بوملة عالج وعانقت سلحي لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبأت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حيث عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى ولا تحمدوني أن أموت مهزالا
أبالمك أرجو أن أخلد فيكم ألا رب ملك قد أزيل فزالا
ألا رب دار قد تحمل أهلها فأضحى قفاراً والديار خللا

٦٦

أليس عظيماً أن أرى كلّ وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود^(١) الرجاء مصرّداً بتغلبة عن ورد تلك المناهل
فأصبت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجاء كلّ آمل
كفقبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفة بالأنامل

(١) «محدود الرجاء» كلمات مختارة ص ٢٧

٦٧

ألم تهتج فتدكر الوصالا
إلى فالدمع منك له سجام
قدع عنك أدكارك آل مدي
وفحن المالكون الناس قسراً
وطئنا الأشعرين بعز قيس
وهذا خالد فينا أسيراً
عظيمهم وسيدهم قديماً
فلو كانت قبائل ذات عز
ولا تركوه مسلوباً أسيراً
وكنة والسكون فما استقلوا
بها سمننا البرية كل خسف
ولكن الوقائع ضعفتهم
فما زالوا لنا أبداً بعيداً
فأصبحت الغداة علي تاج

وحبلاً كان متصلاً فزالا
كأن المزن ينسجل انسجالا
فتحن إلا كثرون حمى ومالا
نسومهم المذلة والذكالا
فيالك وطأة إن تسقلا
ألا منعه إن كانوا رجالا
جملنا الخزيات له ظلالا
لما ذهبت صنائمه ضلالا
يساس من سلاسلنا الشقالا
ولا يرحل خيولهم الرحالا
وهذا منا السهولة والجلالا
وجذبتهم وردتهم شلالا
نسومهم المذلة والسقالا
لملك الناس ما ينبغي انقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً
إن أنت أكرمهم ألقيتهم بطراً
أنشعخون ومنا رأس نعمةكم
أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل
بيننا يستنه للصيد صاحبه
عدا عليه فلم تضرره عدونه

إلى المقارب ما لم يخبر الله خلا
وإن أعتهم ألقيتهم ذللاً
متعلمون إذا كانت لنا دولا
له يسوى الكلب فاضربه له مثلاً
حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

٦٩

من مبلغ عني أبا كامل - أفي إذا ما غاب كالحابل -
 قد زادني شوقاً إلى قربه - ما قد مضى من دهرنا الحائل -
 إني إذا عاطيته مرة - ظلت يوم الفرج الجائل -

٧٠

عني للحدث الجليل - جوداً بأربعة همول -
 جوداً بدمعي إنه - يشفي الفؤاد من الغليل -
 لله قبره ضمنت فيه عظام ابن الطويل -
 ماذا تضره إذ قوى فيه من اللب الأصيل -
 قد كنت أدوي من هواك إلى ذرى كهف ظليل -
 أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدرجة السيول -

٧١

وزيق وانور الجنبين مثل الجبل البازل -
 به رحت إلى صغي وتدماني أبي كامل -
 شربناه وقد بننا بأعلى الدّير بالساحل -
 ولم نقبل من الوائي قبول الجاهل الغافل -

٧٢

عرفت المنزل الخالي - عفا من بعد أحوال -
 عفا كل حنّات - عسوف الويل هطال -
 سلمى قرّة العين - وبنت العم والخال -
 بذات اليوم في سلمى - خطاراً أتلفت مالي -
 كأن المسك في فيها - حقيق بين جربال -

٧٣

خبروني أن سلمي خرجت يوم المصا
فاذا طير مابح فوق غصن يتغلى
قلت من يعرف سلمي قال : ها ، ثم تسلي
قلت يا طير أدن مني قال : ها ، ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمي قال : ها ، ثم تولى
فكنى في القلب كلما باطنك ثم تمل

٧٤

هل إلى أم سعيد من رسول أو مبعيل
نامح يخبر أني حافظ ود خليل
أبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

٧٥

سقيت أبا كامل من الأصفر الباي
وسقيتم ما بعداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ردم ويغرم قائلي
فما لامي فظيم سوى حاسد جاهل

٧٦

طرقني وصحابي هجوع ظبية أدماه مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت في رؤوس الجبال
نقطم الاهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوف الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة فتال للرجال

۷۷

أنا الوليد الإمام، فتخراً أنعمُ بالي وأتبعُ الغزلا
أهوى سليمي وهي تصر في وليس حقاً جفاة من وصلا
أصحب بردي إلى منازلها^(١) ولا أبالي وقال من عدلا
غرة فرعاء يستضاء بها تمشي الهوبنا إذا مشت فضلا

۷۸

قد أغندي بذئ سيب هيكل مشرب مثل الغراب أرجل
أعدته غلابات الاحول وكل تقع ثائر لجحفل
وكل خطب ذي شؤون بعض

۷۹

يارب أسدي شؤون جحفل فاصبت فيه خليات الاحول

صرف الميم

۸۰

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي عطاء ورزقا كاملاً في المحرم
فلا تمجلوني لا أباً لا يبيكم فاني لكم كالوالد المرحم

۸۱

أنا الوليد أبو العباس قد علمت علياً مدي كزي وإقداي
إني لفي ذروة العاليا إذا انتصبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بني لي الجذبان لم يكن وكلاً على منار مضينات وأعلام
حملات من جوهر الاعياص قد علموا في باذخ مشعخز العز ققام

(١) في الكامل ١/ ٤١٢ : انتقل رحلي إلى مجالها

صعب المرام يسامي النجم مظهره يسعوا إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسايك عن سامي قنير الشيب والحلم
وأنت الشك ما تبس فلا وصل ولا صرم
فلا والله رب النا من مالك عندنا ظلم
وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم

٨٣

أنا بريدان من واسط يجبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى أسلم لا تبعدن مسامه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد نضي فقد أصبحت مظلمه
كتمنا لتعبك نخشي اليقين فجلى اليقين عن الجمجمه
وكم من يقيم تلافيته بأرض العدو وكم أيمته
وكنتم إذ الحرب درت دماً نصبت لها راية معلمه

٨٤

إن كأس المعجوز كأس رواء ليس كأس ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيل لظلاً في سكرة وغموم
ولدهته سكرى فلم تحسن الطلب في فوافي لذاك غير حكيم

٨٥

طال ليلى فبت أسقى المداما إذ أتاني البريد بنمي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدية بفضل الناس ناشتا وغلاما
ذلك ابني وذاك قوم قريش خير قوم وخيرم أعماما

٨٦

عللاني بمائقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفاً في إفاء من الزجاج عظيم
جنبوني أذاة كل لثيم إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كرم فأذبقوه بعض من النعيم
ليت حظي من النساء سليبي إن سلمي مجنبتني ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها إن من لامي لغير رحيم

٨٧

خيلي ورب الكعبة المحرمه سبقن أفراس الرجال اللومه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه كذلك كنا في الدهور القدمه
أهل البلى والرتب المعظمه

٨٨

فام من كان خلياً من ألم وبدائي بت لي لم أنم
أرقب الصبح كأني مسند في أكف القوم تنشائي الظلم
إن سلمي ولنا من حبيها ديدن في القلب ما أخضر السلم
قد سبني بشنيت نبتة وثنايا لم يبعين قضم

٨٩

بأفا عني سليمي وسلاها لي عما
نعمت في شأن صب دنف أشمر همما
ولقد قات لسلي إذ قتلت البين علما
أنت ممي يا سليمي قد قضاه الرب حتما
تزلت في القلب قسراً منزلاً قد كان يحمي

صرف التون

٩٠

رأيتك تبني جاهدًا في قطيعي فلو كنت ذا إرب لم دمت ما تبني
تثير على الباقيين مجني ضغينة فويل لم إن مت من شر ما تبني
كأنني بهم واليت أفضل قولهم ألا ليتنا واليت إذ ذاك لا يبني
كفرت بدأ من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

٩١

حبذا ليلتي بدير بونا حيث نسق شرابنا ونفني
كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا مجننا
ومررنا بنسوة عطرات وغنام وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرد من مجونا والمستشار مجننا
فأخذنا قريانهم ثم كفر نا لصلبان دبرهم فكفرنا
واشتهرنا للناس حيث بقول ن إذا خبروا بما قد فعلنا

٩٢

منازل قد تحمل بها سليمي دوارس قد أضر بها السنون
أبيت السر حفظًا يا سليمي إذا ما السر باح به الخزون

٩٣

وبح سليمي لو تراني لعناها ما عناني
منلقًا في اللهو مالي عاشقًا حور القيان
إنما أحزن قلبي قول سليمي إذ أتاني
ولقد كنت زمانًا خالي الدرع لشاني
شاق قلبي وعناني حب سليمي ويراقي
ولكم لام نصيح في سليمي ونهاني

٩٤

عَلَّيْلا نِي	واسقياني	من شراب إصماني
من شراب الشيخ كسري		أو شراب القيرواني
إِنْ فِي الْكَأْسِ لِمَسْكَ		أو بكفي من سقاني
أو لقد غودر فيها		حين صبت في الدنان
كللاني	توَجَّاني	وبشعري غنياني
أطلقاني	بوئاني	واشدُّ داني بعناني
إنما الكأس ربيع		يُنْعَاطِي بِالْبَنَانِ
وحُمِيَا الْكَأْسِ دَبْتُ		بسِنَّ رجلي ولساني

٩٥

إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي	نحو الرُّصَافَةِ رَأَى
خَرَجْتُ أَسْحَبُ ذُبُلِي	أَقُولُ مَا شَأْنُهُ
إِذَا بَنَاتُ هِشَامٍ	يَنْدِينَ وَالْدَّهْنَةَ
يَنْدِينَ شَيْخًا كَرِيمًا	وَكَانَ يَكْرَهُهُ
بَقْلَتِ ذُبُلِي وَعُولِي	وَالْوَيْلَ حُلَّ بِهِ
أَنَا الْمَخْنُثُ حَقًّا	إِنْ لَمْ أَنْبَأْهُ

٩٦

وصفراء في الكأس كالزفران	سبأها التَّجْبِيُّ مِنْ عَسْفَلَانٍ
تربك القذاة وعرض الأنا	سَترَ لَهَا دُونَ لَمَسِ الْبَنَانِ
لَهَا حَبِيبٌ كَلَسَا ضَفَقَتْ	تَرَاهَا كَلِمَةً يَرْقُ بِمَانٍ (١)

(١) قد جعلنا طوافنا بالدنان
سجد الساجدون لله حقا

حين طاف الوري بكرمياني
وجعلنا سجدونا للقناني

حلبة الكيت ص ٩٨

صرف الابر

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن يُخبُّ بي السندي ثَقْرًا فَيَا فِيا
تطلعتُ من غور فأبصرت فارسًا فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثًا ثم إني طعنته فرويت منه صعدتي وسنانيا

٩٨

قامت إليّ بتقبيل تمنائي رياء العظام كأن السك في فيها
أدخل فديتك لا يشعربنا أحد قسي لنفسك من داء فقد بها
بننا كذلك لا نوم على سرر من شدة الوجد تدنيني وأدنيا
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجها
ثم انصرفت ولم يشمر بنا أحد والله عني بحسن الفعل يميزها

٩٩

أفصرا عن ملامتي عاذيا إن هذلي يزيدني اليوم غيا
لا تلوما هديتنا إن قلبي عشق اليوم شادنا قرشيا

١٠٠

لقد أغدو على أمة رَـبَّـتـال الصحاريا

١٠١

أنا في بيني بديها وهي في يسرى بديها
إن هذا لقضاء غير عدل بأخيه
ليت من لام عجا في الهوى لاقى المنية
فاستبراح الناس منه ميتة غليظ صوبه



نقد

كتب الدراسة للعلوم العربية بافريقيا الشمالية

من محاضرة ممتعة تلاها العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي الشعالبي في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بتونس أيام ١٤ و ١٥ و ١٦ كانون الاول ١٩٣١ الموافق ٤ و ٥ و ٦ شعبان ١٣٥٠ ، وألقاها مؤلفها في جلسة المؤتمر الاخيرة الرسمية ، ونشرها ليطلع القراء على آثار علماء المغرب العربي .

غير خفي أن علة الملل في تأخر الأمة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الامية ، وكل يعلم مضارها العظمى وأثرها السيئ فينا بما يقضي علمه عن بيانه لذلك أرى أن أول داء نبادر لمعالجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال المخطر داء الامية . ولا تزول جرائحه إلا إذا تساوى أفراد الأمة ذكراً وإناثاً في قدر من العلم الادبي والتهذيب يزول به خوء التفاهم بين أفراد الامية ، وهو أقل ما يكفي لأن يصل به الكل إلى معرفة ما يصلح مجتمعهم أو يضر جامعهم ، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضائه ويهتدي للدواء الحقيقي فيتطلبه من حيث ينبغي تحصيله . ولا سبيل بحسب العادة إلى الوصول إلى هذا القدر إلا بتسهيل تعليم القراءة والكتابة وبه زوال غشاوة الامية عن أبصار الأمة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كان النبي العربي (ص) يعالج داء الجهل بنفسه المقدسة بياشراً تعليم الامية وتهذيبها شفاهياً ، ويزيل عنهم داء الامية ، فيأمرهم بكتب القرآن في الصحف والخاف والعظام وغيرها مما كانوا يكتبون فيه .

ولقد أناف كتابه صلى الله عليه وسلم الذين يكتبون له الوحي وغيره على الأربعين كاتباً من أعيان الصحابة الكرام ترفيحاً لشأن الكتابة ، وكان يرغبهم في نبذ الامية وتعلم الكتابة والقراءة

وقد ثبت في السير أنه لما أمر بعض كفار قريش في غزوة بدر ، وكانوا يحسنون الكتابة ، وكان أهل مدينته عليه السلام يحبلونها ، جعل فداء بعض الامري أن يعلم الاسير عشرة من أبناء المدينة المنورة ، فإذا علمهم نال حريته وأطلق من أمره بدون شيء سوى ذلك .

ومن افتدى بالمال كان يؤدى من الاربعة آلاف دينار إلى الثلاثة إلى الالفين إلى الالف كل أسير على قدر ماله ، فانظر قيعة تعليم الكتابة كم كانت تساوي ، فإن تعام القى الواحد بساوي اربعمائة دينار إلى مائة دينار ، وليس ذلك بنال في سبيل اتلاف داء الامية ، لذلك لا نستعظم ما نقرره الدولة في ميزانيتها للتعليم حيث نفسه إلى عدد المتعلمين كل سنة .

ما هي الامية ؟

الامية في الزمن النبوي وما يقرب منه كانت عبارة عن عدم معرفة القراءة والكتابة فمن عرثهما لم يبق أمياً حيث كانت اللغة واحدة ، فلعنة النخاطب والفقاه هي الفصحى سواء فيها الأشراف والسوقة ، ولم يكن لديهم اعتنان غامية وفصحى ، فكان الناس متساوين في فهم ماخطبوا به من القرآن والسنة والواو والنواهي والمنشورات والمكاتب والخطب والشعر ، وإنما تفادتهم بالذكاء وزيادة المعلومات . أما في الوقت الحاضر ، فالذي يعرف القراءة والكتابة فقط من غير أن يفرق بين التراكيب الصحيحة والفاصلة هو أمي أو ملحق به ، حيث جهل اللغة الفصحى التي هي لغة النشر ، ولا يخرج عن سجن الامية إلا إذا عرفها ولو معرفة ابتدائية ، وإن لم يصل إلى حد الشغف في الدقائق ، فهذا يخرج من صف الاميين ويدخل في صف أهل العلم ، إذ يمكنه ان يتوقى اللحن في كلامه وإن لا يغلط في فهم كلام غيره بحيث لا يتقارب له الضارب مغرباً ، وبذلك يفهم خطب الخطباء غير المشككين لسجع الكهان ولا المتعقنين في التراكيب المعقدة المتظاهرين بمظاهم

الفخفة العلمية ، وفهم المنشورات الدولية والجرايد السيارة ليطلع منها على أحوال العالم ويعرف ما عند غيره فيخرج من عزلة الاقتراد ويفهم لغة المراسلة التي لا يرضى أحد من أهل العلم ان يتنازل عنها ولا أن يكتب بدرجة أسفل منها ، وهي لغة الشريعة ولغة القوانين والظواهر والمنشورات الحكومية ، فالحصل على هذا القدر ليس بأمر بل هو عارف بما له وعليه ، عضو عامل في المجتمع بخلاف الأمي الجاهل بذلك فإنه كعضو أشل ضربة على مجتمعه أكثر من قومه (إلا نادراً وعلى خرق العادة) لعدم تمييزه بين ما هو ضار أو نافع ، فربما اختار الضار على النافع من حيث لا يشعر ، والأمي بسيط الفكر يتخذ لكل مذهب ، فيقع في شباك الثنائين بأقل إشارة بخلاف الذي يقرأ الكتب ويطلع الجرائد فإنه يكون مشاركاً للعقلاء في تفكيرهم لا تنطلي عليه حيل المحتالين غالباً ، إذا سلم هذا القدر علمنا أننا استنا مطالبين أمام أمتنا العربية بتعليمها الحروف العربية والكتابة وقراءة الجمل قراءة بسيطة فقط ، بل نحن مطالبون بتعليمها تعليمًا ابتدائيًا لغة النشر فيجب أن نعم هذا بين أفراد الأمة ذكراناً وإناثاً بقدر الإمكان ، هذا التعليم الذي أريد لا يحصل إلا بتعليم ما لا بد منه من النحو والصرف ومصطلحات كتب اللغة الابتدائية كمصباح النيوبي ومختار الصحيح للرازي ونحوهما بحيث يمكن للمتعلم أن يراجع لفظة عربية اعترضت فهمه في آية أو شعر ، ومرادي من النحو هو ما قال أمام الادباء أبو عمرو الجاحظ : علم ولدك من النحو ما يعرف أن يميز بين العبارة الصحيحة والعبارة الفاسدة وإياك أن تكثر عليه من النحو فإنه خبال .

فوصية هذا الامام ينبغي أن يقتصر في التعليم الابتدائي على القدر الضروري الذي يحتاج اليه من يريد أن يتوقى اللحن فيما يعبر به عما في ضميره والغلط في فهم عبارة غيره كما تقدم ، وهذا القدر لا يلزم فيه ان يدرس النية ابن مالك وشروحها ولا كافية ابن الحاجب وشافيته فضلاً عن التوضيح والنسبيل أو نحوهما مما كانت تسميته من باب الاضداد .

إن من يريد أن يمر بالعلمين ليتزود منهما زاد مسافر يوصله لغيرهما من المقاصد غير محتاج إلى دراسة أمثال هذه الكتب المسهية بكثرة اختصارها واحتياج رموزها إلى شرح ، وشروحها إلى حواش وأخذ ورد وقبول ونقد ، فالدراسة بها تحتاج إلى أن ينقطع

الطائب إليها ثلاث سنوات أو أربعاً لا يزال غيرها ، وأنى لا بتائها أن يجدوا هذا الوقت في المدارس الثانوية فضلاً عن الابتدائية ، ليس الاولاد في المدارس سوى ثلاث ساعات أو ساعتين في الاسبوع مخصصتين للنحو في بعض الصفوف دون بعض ، ولا يتسم الوقت لاكثر من ذلك لانهم مطالبون في الاوقات الاخرى بعلوم دينية وأدبية اخرى مع العلوم العربية التي أصبحت ضرورية لمعاشهم وازدهار مستقبلهم ، وهذه الساعات لا تسم الدراسة بكتب ابن مالك وابن هشام مثلاً بل لا تصلح لها مقدمة ابن ابروم قسها كما ينبغي بعد . ان هذه المدارس الدولية ابتدائية وثانوية هي ام بما يعتمد الآن عليه في حفظ اللغة والعلوم العربية لكثرتها وانتظام سيرها ولولاها لكأنت لغتنا في خطر ، إذا فالضرورة قاضية علينا بتأليف كتب تنطبق على حاجة ابنائنا تصلح للدراسة في فني النحو والصرف وغيرهما من الفنون ، فمن المتعين علينا ان نؤلف كتباً وطنية دراسية في كل علم نحن في حاجة اليه موافقة لحاجتنا ومطابقة لتفكيرنا ، وتكون على ثلاثة اصناف : صنف للمدارس الابتدائية وصنف للثانوية وصنف للنهاية ، فالصنف الاول يجمع بعض قواعد النحو وهي الضرورية منها التي لا بد منها في إصلاح المنطق والكتابة كما تقدم ، وقد رأيت من هذا الصنف جملة الفت في الشام ومصر وغيرهما ، ونعم الدراسة ببعض منها في المدارس الدولية عندنا في المغرب

ولكنها لم تسلم من نقد وقليلة لم تتمكن من تشجيع التعليم بها لقلة ما يرد منها وغلاء اثرائها غلاء مشطاً ، ولم يستحسن احد ادخالها في تعليم القرويين الابتدائي ، فالواجب على علماء افريقية الشالية أن يؤلفوا مثلها مما يسلم من النقد تنشره ادارة المعارف على نفقتها ليعم التعليم به في جميع البلاد الافريقية ، لان اختلاف التعليم والاسلوب مفسدة ، فكمن طالب ينتقل مع والديه من مدينة الى مدينة او من مدرسة إلى اخرى في مدينة واحدة فيختلف عليه الكتاب الذي يدرس به وتضيع ايام الدراسة عليه ، وكم من واحد بدأ أول السنة بمدرسة بسفينة النجاة السورية ، فقرأ أحكام الافعال دون الاسماء ، ولما انتقل وسط السنة لمدرسة أخرى قرأ بالاجرومية مثلاً وخدم قرأوا أحكام الاسماء وهو لم يقرأها ، فضاعت عليه سنة وسقط في الامتحان طبعاً حيث الامتحانات عندنا في العربي مثل الفرنسي سوانية .

الصف الثاني : كتب تؤلف للتلاميذ الثانويات تكون أجمع للقواعد من الأولى وأرقى تعلما منها ، وتشتمل على جملة من شواهد الكلام القصيح فتحي دارسها لان يكون منشئا خطيباً وسطاً .

الصف الثالث : كتب تؤلف لاصحاب التعليم العالي في القرويين والزيتونة وأمثالها تجتمع جميع قواعد النحو ولائشذ عنها شاذة بجميع شروط كل قاعدة وقبورها ومشتبهاها ، وتأني لكل قاعدة باصولها من الكلام العربي والقرآن العظيم . والسنة الصحيحة ، وتجمع ما هو مفترق من القواعد في الافية وشروحها ، كالاشموني وحواشيه والمفتي والنسبيل وكافية ابن الحاجب وكتاب سيبويه وشروحها بحيث لا يبقى الطالب محتاجا للبحث عن قاعدة ما في كتاب من كتب النحو المتفرقة والتي لا ييسر لكل أحد امتلاكها ، ومهمشة لان بصير منشئا خطيباً من الدرجة الاولى عربيا قحاً .

لا أريد كتباً تختصر من الكتب السالفة الذكر اختصارا بل أريد من يؤلف في النحو كتب الدراسة أن يثور ثورة مهولة جريئة على النحويين فيكسر السجف الذي سجنونا وسجنوا فيه أنفسهم ، وبطلقنا من رقة أفكار المولفين ولا سيما المتأخرين ، فينبذ وراء ظهره الاسلوب الذي التزمه وهو تضخم علم النحو وتكثيره وصيرورته علما عظيم الجثة بالعمامة والنياب حتى صار شبحا مخوفا فعزموا من النغم به عموم الامة وكانوا سببا في ابعادها عن لغة القرآن وعن لغتها المحبوبة وحرموها من التقدم وزوال الامية .

أريد ممن يؤلف أن يقلب وضعية العلم رأسا على عقب اهزأبا وتصريفا

(١) فلينبذ تلك التعاريف المعقدة التي أول من جاء بها الرماضي ، والتي الجأنا إلى النزاع هل تعريف الفاعل رسم أو حد ، وقد ادخل فيه الحكم الذي هو الرفع أو العرض العام وهما لا يدخلان الحدود وهي قاعدة منطقية والمنطق متأخر طبعاً عن النحو فكيف يقدم

(٢) ولينبذ عنا ما خلط بالفن من قواعد علمي المعاني والبيان اللذين هما كنتيجة لعلم النحو ويتكرر على التلميذ قراءتهما عند ما يقرؤهما في الوقت المخصص لهما وذلك مما ضخم به صاحب التصريح على التوضيح كتابه ، وأفاض فيه عشوه مثلاً فعلا في

مبحث حروف الجر هل ينوب بعضها عن بعض مجازاً أو استعارة ، مع أن هذا مبحث لغوي وقد كرره حتى في علم الأصول فزادوا النحو صعوبة ، وهكذا علم الوضع أنوا بجل قواعده في علم النحو ، وكل من هذه العلوم له تأليفه وبطلب في إبانته ، ومن طلب الشيء قبل إبانته عوقب بجرمانه .

(٣) ولينبذ عنا كل أحجج النحويين وتوجيهاتهم الخيالية التي ليست عليها مسحة من القبول ، وليقتصر على الاستدلال بالسماع الصحيح الذي تلقاه ثقافة أهل الفن كالتحليل وسبويه ويونس والاصمعي وأمثالهم من العرب المؤثوق بمريبتهم ، فليجتنب تلك الحجج الخيالية التي هي فلسفة باردة ضحمت بها الكتب وضاع فيها الوقت ، فهم أنفسهم يقولون: أو هي من حجة نحوي ، والعرب أبعد الناس عن تلك الفلسفة الخيالية . وإن تعجب فاعجب للنحويين اختراعوا أدلة باردة سمجة ونبد الفقهاء من كتبهم الأدلة التي بنيت على الأصول القويمة والتي لا يكون فقيه فقيها إلا إذا عرفها وحررها .

(٤) ولينبذ عنا كل خلاف كوفي أو بصري أو بغدادي وكل تحزب لفريق ضد الآخر ، فالعلم لا وطن له ، وكل قول غصده سماع صحيح فصيح لم تلجئ إليه ضرورة الشعر فصحيح مقبول ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وزيادة الثقة مقبولة في كل فن ، فلا معنى لبقاء الخلاف بعد ثبوت السماع الا تكثير الشغب والمجود على التحيز لفريق دون آخر ولغة العرب ليست بصرية ولا كوفية .

إن جل مسائل الطب فيها خلاف ولكن الطبيب لا يعالج مرضاه بقوله سيف علاج هذا الداء خلاف بل يعالجه من طريقة يختارها ويترجع عنده صوابيتها ، ولو أراد تتبع الخلاف ما عالج مريضاً ولما اتوا كلم قبل رفع الخلاف .

وعلى كل حال ان كل قول تجرد عن الدليل الصحيح فلينبذه ولا يعرج حتى على حكاية وهكفي ان يقول أول الكتاب كل مسألة نقوية لا تتخلو من خلاف إسرين بصري وكوفي غالباً .

(٥) ولينبذ التأويلات البعيدة في السماع الصحيح الظاهر فان ذلك محض خيال وجهد للحق ، فتكلف التأويل هو الذي فتح على الاسلام كل دبل ، ولو فتح باب له سقط على النحويين كل قواعدهم لانها إنما تستند للسماع الصحيح الظاهر غالباً وهو قابل للتأويل .

(٦) ولينبذ تعميل بعض القواعد النحوية التي انحصر أفرادها فلم تحتج التعميل ولا لتعقيد كتعميل بناء بعض الاسماء كالضمائر وأسماء الإشارة بشبه الحرف ، فالمبنيات من الاسماء محصورة وما كان عليهم إلا أن يعدوها عدأً ويمسكوا عن الأوهام الباطلة فالبناء جود كالعدم بل هو عدم اختلاف الحركة الأخيرة مهما اختلفت العوائل ، والعدم لا يعمل على أن تلك التعميل لا تخلو من نقد وأخذ ورد مما دل على فسادها ورافقه بحدود المداد على بسط من أرض الرق من غير فائدة تجنب ، فليس هناك مجهول استنتجوه ، ولا عويص افتروه . بالله عليكم أي حاجة بنا لمعرفة عللة بناء الاسم وكون بنائه على حركة وكونها خصوص كذا ؟ كل ذلك باطل ، وجيده من الفوائد العلمية عاطل ، وإنما هو تضخيم وتطويل لما خلقه الله قصيراً وتكثير للقليل بخيال أشبه بالخيال ، ولا خطر لعربي بيال ولا إسلامي قبل خوض الفارسيين في علوم العرب ، وإنما العرب كانت تنطق حسب أذواقهم السليمة وفكرتهم البدوية البسيطة المستقيمة لا شعور لم بما تخيله النحويون ولا بما تفلسف به الفرس البصريون والكوفيون ، ومصلحة الأمة في تقصير علم النحو فطولوه ، وتقليله فضخموه ، فليجتنب المؤلف أمثال هذه الأحاجي المستزدة .

(٧) ولينبذ تعقيد قواعد ليست لها فوائد وإنما هي كد الموائد للطعام ولا طعام ، كقاعدة إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوخ وبطلون ذبول القاعدة ببيان المسوغات ، ثم يكتثرون على ذلك بما يشبه أن يكون مبطلاً له ، وهو أن المدار على حصول القاعدة ، ونسوا أنهم قعدوا قاعدة أول الفن ، إنهم لا يعتبرون من الكلام إلا ما كان مفيداً ، فأبي فائدة جمعت من هذه القاعدة ؟ وهكذا القاعدة الأخرى المشابهة لها أو المأخوذة منها ، وهي أن صاحب الحال لا يكون نكرة إلا بمسوخ وبتوعون المسوغات ، ثم يقولون انه ورد في الصحيح بدون مسوخ على النبي (ص) قاعدةً وصلى وراءه قوم قياماً فصار حاصل الفذلكة صفراً .

وكقاعدة ان المصدر المنكر لا يكون حالاً بقياس وإنما هو موقوف على السماع مع وروده بكثرة في الكلام الصحيح ومع الثبوت المستفيض لم يبق ما يوجب تحجير القياس مع ثبوت إطلاق المصدر على اسم الفاعل واسم المفعول ، ما ذاك إلا خيال التوجيهات النحوية والفلسفة الباردة .

وكقاعدة أن لا يحذف الجار وينصب مجروره قياساً وإيقاعه على السماع مع وروده كثيراً في النصيح، وقد رأيتهم في مسائل أخرى إذا وردت جزئية أو جزئيتان عن العرب أباحوا القياس، والمنع مخالف لأصل القياس المبني على أن الحكم بدور مع العلة فليس التحجير إلا من خيال الفلسفة الباردة .

وقد أقدم ابن مالك كغيره في مواضع من الافية على نبذ التحجير المجحف كقوله:

وسبق حال ما يحرف جر قد ابوا ولا أمتعهم فقد ورد

وكقوله في منع العطف على ضمير الرفع المنفصل :

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً

فبأشكال هذه القواعد وهذه التحجيرات والتزاع فيها وفي توجيهاتها الفلسفية الباردة طال علم النحو وضخم مصيبة الامة جاءت الامة من طاوله وضخامته .

(٩) ولينبذ وراء ظهره أن بذكر في تأليف الدراسة الابتدائية ما لا يصل إلى فهمه أهلها مثل تعريف الكلام والحكم والحكمة واللفظ والمفيد الخ . فتعريف أمثال هذه الامور لا يحتاج اليها المتوسط ولا تفيد ولا يجوز إتعا به وإتلاف وقته فيها فضلاً عن المبتدئ لقلة جدواها وإنما فيها إرهاب طالب النحو إذ يجيد هذه المسائل الصعبة القليلة الجدوى في أوله فيظنه كله صعباً فيذهب مهرولاً ويترك لهم نخوم بقيقهون زبدوم ويضربون عثرهم .

ومثل ذلك تعريف الاعراب والاختلاف فيه هل هو لفظي أو معنوي وما أبعد تلك التديقات عن المبتدئين بل عن المتوسطين وما أقل جدواها وما أكثر الوقت الذي يضيع فيها .

ومن ذلك الاشتغال في كون تقسيم الكلام إلى اسم والى فعل وإلى حرف ، هل من تقسيم الكل إلى جزئياته أو الكل إلى أجزائه ، ثم انهم اعترضوا الكل وأظلموا المسالك بمصطلحات منطقية لا تطالب ولا تفهم إلا بعد تحصيل جملة من النحو . فيأشبه من قوم لم يرق في أيديهم إلا أن يسكون طريق النحو وعراً مظلماً ، وهكذا ما دمت سائراً مع أبواب النحو تجدهم فتحوا الباب بقولهم باب كذا ثم في أول قاعدة أو ثابيتها تجدهم أو صدوه بل جعلوا عليه رسداً وطلسمات بأنواع من الصعوبات ليحاروا الناس عن لغتهم

ويصعبها عليهم ، وهي من أسهل اللغات وأكثر الصعوبة خلط فلسفة النحو بالنحو وكان ينبغي أن تجعل كتب فلسفة النحو مسئلة للمتخصصين فيه ، وليس عملهم هذا خاصاً بالنحو بل هو داء عياء وصلت عدواه إلى سائر العلوم العربية .

فهذا علم البيان أكثرها فيه من الخيال قصيره صعب المرنقى ، وقد كان ثمرة يانعة دائية وضخمه بخلافات السكاكي والزمخشري وغيرهما ، حتى أنك إذا تطلبت قاعدة من قواعده نقية لم تجد لها إلا في وسط مستنقعات من الاوهام والابحاث الجوفاء بل حتى تخوض لأجلها بجوراً من التدهيبات السراية

وهكذا علم أصول الفقه ضخموه بعلم المنطق والجدل واللغة والتوحيد ، حتى التصوف ، فصار علم الأصول وسط هذه العلوم لا يبصر إلا بكبرة كاشفة ، كهلال تحت الغمام . أما علم اللغة الذي هو سماع محض فلم تجد الفلسفة منفذاً إليه فقد ضربوا دونه سداً بالالغاز الاختصارية فلا بد لمن أراد الكشف عن لفظة أن يغوص قاموس التعمية الذي اختصر صاحبه سراً فأوجب على شارحه عشر آ :

أناشدكم الله أيها المؤتمرون أن تأخذوا بيد هذه اللغة العربية الجميلة الراقية من أصل وضعها والتي أضعها أهلها ، وقضى عليها حب النخفنة العلمية والاباحة العرفانية ، قضى عليها تكبير العلم وتصغير التأليف ، فبينما هم يريدون تكبير العلم وتضيقه في صف العلوم الواسعة الطويلة العربية إذا بهم يصفرون التأليف فينسابون الى الاختصار إلى أن يصلوا حد الالغاز والتعمية فيجوجونا إلى أسفار الشروح والحواشي ، فتريد ممن يؤلف ان تكون له براعة تامة وفكر وقاد ومقدرة واسعة ومبدأ صحيح وجراة نادرة فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول ، ولا بوضع لنا ما هو محتاج لإيضاح فقط بل يقابل وضعية العلم وينصرف تصرف الناقد البصير ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل ، فلا يدخل فتاً في فن ولا يكتر من العشور حتى يفي اللاب ، ولا يكتر في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة ، بل يقتصر على القواعد الصحيحة النقية بفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تأليف المتقدمين بحيث يستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكلة بل يكون كافياً للصف الذي ألف لاجله مفهوماً بنفسه من غير تشنيت للضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف ولا اجدات اصطلاح لكل كتاب

بل يكون اسلوب التأليف اسلوباً عربياً قحاً سالماً من كل ايهام أو ايهام أو لكثرة أو تعقيد وانما هو مجرد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعويض من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار محل به .

ويكثر في الكتب الابتدائية من الامثلة والتحرينات ، وفي غيرها يكثر من الشواهد العربية والجلل الفصحى والكلام العالي ومهما أتى بقاعدة ساقها تامة القيود والشروط والمستثنيات الى غير ذلك مما تقدم . هذا واننا لمحتاجون لكتب التلاوة والاملاء والمطالعة تكون قواها وترا كيب جملها عربية فصحة وتكون مشكولة بأنقن ضبط الا انها تختلف باختلاف أصناف التعليم ، فالتى تكون للشانوي أعلى من التعليم الابتدائي ولكن كلها يكون مانيها في الاخلاق والتهذيب اذ الامة بأخلاقها ونحن احوج ما يكون للكوين امة مهذبة ذات أخلاق اسلامية عالية ، بل نحن احوج الى التهذيب منا الى التعليم ، فالاحسن والواجب ان تكون كتب التلاوة والاملاء كلها كتب أخلاق وتهذيب يستفيد التلميذ من معناها لغتها وروحه ، ومن الماظها وحسن ترا كيبها لاصلاح لسانه ولهجته وتدريبه على الفصاحة والبلاغة والاخذ بضمي البيان ، ولا بد من مزج الكتب الثانوية منها بجوامع كله عليه السلام وآيات الاخلاق وأحاديثها الصحاح وامثال العرب وخطب الخلفاء وحكم الحكماء وغيرها مما هو راجع الاخلاق والتهذيب وذلك افضل من حكايات ماثت بها كتب جعلت لهذا الغرض كبحر الادب الذي يدرس به التلاوة في مدارسنا المغربية الدواية .

وانا لمحتاجون الى معجم لغوي يجمع كل ما في القاموس وشرحه وتكلمته وصلته وذيله الذي ذبل به صاحب الشرح (مؤلف له خطي مستقل موجود جله بكتبة القرويين) وكل ما في اللسان وغيره من المعاجم المعروفة بحيث ان من راجع مادة منه ايقن واطمان خاطره انه حصل منها على المراد ولم يبق نفسه منشوفة لسواء ، ولا يقتصر على ما اقتصر عليه صاحب اقرب الموارد فانه اخل بشي كثير من الفن .

ومحتاجون الى معجم عصري يجمع دوال الاشياء المستحدثة اما من صميم العربية ان وجد لها لفظا والا فيكون بالوضع الجديد على نسق ما كان يفعله أسلافنا عند ترجمة كتب

اليونان وغيرهم

محمد الحجوي الشمالي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٢ = المعرب والشعرب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها .
واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تلتقاه العرب من العجم أنكرة مثل ابريسم وجوفة
وسرادب ، فإذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معرباً ، وإنما يسمى
اعجمياً . ومن هذا تعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية
بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضاً مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب
(سكر) و (اقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليلد) و (بنفسج) فانه مغرب (بنفشه)
و (هنزمن) معرب (النجمن) لمجمع النام . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز)
و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان اعتماد لغة من أخرى يعد
من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه
اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكثتها مستمرة وهضمتها هضماً ، حتى
أصبحت من لحها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات
الحية ، تغتفر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنبذته لغة
من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، وإلا فقد تكون بعض
اللغات مرعى خصياً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة
التركية فانها عاشت يجارتها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، واكتنتها
بشمت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحاورت في أسرها ولم تزل حائرة ، وما ذلك

إلا اضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألث بها منذ الطفولة على ما يظهر .
 أما لغتنا العزيزة فهي - والله الحمد - من أقوى اللغات على المضم والتشثيل ، تنتزع
 اللفظة من أي لغة شامت ثم تزدردوها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها
 تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها . حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا
 الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمميز الاصل من الدخيل ،
 حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على
 آخرين فأخذوا يفككون عراها ، وينكثونها نكثاً ، ويخرجون ما هو منها في الذوابة
 فينسبونوه إلى غير أصله ، ويردونوه إلى غير اهله . وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه
 الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا - لعمرك - شذوذ في
 الشذوذ وتطرف في التطرف . واسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ،
 لان لنا معهم مقالاً في غير هذا المقام . ولكننا نريد ان نقول : ان أهم ما يفتنيه الباحث
 من الشعر في باب التعريب هو الاولام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان
 معرفة تلك الطرق ، وصبر منرجاتها من اهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من
 العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيها وتدقت أنهارها . نحن لا نشك
 في أن أولينا كانوا يسبرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكلفونها فوق طاقتها ،
 ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نهبتها ، حتى أوصلوها إلى ما
 أوصلوها إليه من البسطة في المادة والنساعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤا أن يوغوها
 من علم وادب ، ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس
 كما لم يبخلوا عليها بكل ما نطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة يعد مجي القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها
 قبلها ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام . فاذا فارت بين لغة العلوم
 اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، فيجد البون بعيداً ، والمسانة
 قصية . وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الغزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في تأليفهم
 تختلف عن لغة اسرى القيس ، والباغة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لم يتهمدها أهل

المعرفة بالخدمة ، والتوسيع ، والعقل ، والتهذيب لضافت زرعاً بملك العلوم الكثيرة
والمعارف الغزيرة .

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتمهيب
وما علينا إلا أن نشق لنا طريقاً لاجباً من بين هذه العقاب المنبثة ، ونتخذ من أعمال
أوليننا متاراً نأتم به في غملاً ، ونستشير به في هذه السبيل . ولهذا كان من واجب أبناء
العربية لهذا المهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثاً ليعرفوا ما ياتون وما يذرون في تمهيد طريق
الحياة للفتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الأفكار تطوراً هائلاً ، وصار من
البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيتها كنفها لكشف ، وسنشير في
آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الادلون . وعلى الباحث
بعد أن يرجع إلى ما أفرد به العلماء من التأليف المهمة في هذا الباب الواسع .

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية
استعمالها ، يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة . قالوا : ولا سيما
بعد أن نحكم بأن اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعمرة ، ويكون
له ما للأصيل ، وعليه ما عليه .

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى صنعه ، وهل هذا
إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن
هذه المباحث حجة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها
وأقوى نصير في معرفة أصرار غماتها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية
اللغوية .

بماذا يعرف المعرب ؟

الأصل في كل كلمة نستعملها العرب أن تكون غريبة التجار ، إلى أن يقوم
الدليل القاطع على أنها معربة . ولا يغني الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقارنتها
كلمة تستعمل معناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلاً ، وقد
نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فإنها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثه من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فإن الأرض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للأرض اسما إلى أن سمته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر يحيله العادة .

وهذا الباب من أضييق الابواب واغعضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثم نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فترام حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة ، فينتا تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصحيح ، الى نبحار عجمي ، اذ تراهم يلمعون بالعربية كلمات هي من صحيح العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على خآكتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوده :-

احدهما = النقل بان ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الانريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه - لانهم قد يخطئون فيما ليس من كلامهم - ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الامم نونا بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب (نرگس) الرابع = أن يكون آخر الكلمة زايبا بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليعدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما عربان من (كوجان) و (كج)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) للآلة الحربية المروثة .

و (الجردقة) للرغيف و (الجر موق) للذي يلبس فوق الخف و (الجوسق) للقصر و (الجوالق) للوعاء المعروف (باسم جواله) و (الجلاقق) للبندق و (الجوقفة) للجماعة من الناس .

السابع = أن يكون الاسم رباعياً أو خماسياً وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (فر من لب) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتتحو بها نحو الخفة مثل (الزادوق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعريبتها ، مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهري في التهذيب - متعباً على الوجه الخامس - قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : حصص الجرو إذا فتح عينيه ، وحصص فلان اناء إذا ملأه . والصنع ضرب الحديد بالحديد .

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازة) وهو الطري .

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفية) وهي الجزيرة فانها معربة ، وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السراط وهو الابتلاع بكثرة .

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساذه) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لون واحد لا يخالط غيره .

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة .

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليس بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم

ولاناخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بنقديم ولا تأخير .
 هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات
 لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وما ذلك
 إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها
 والايقال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دقاتها ، وبذل الوسع في دراسة أصول
 اللغات وفقها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه
 المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكموا في
 هذا الباب فحكمهم الفصل ، واليههم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا انفقت كلمتان في لغتين
 لفظاً ومعنى ، و كان بين أهل هاتين اللغتين صلات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو
 نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك
 الالمتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجح أن يكون أصلاً
 في تلك اللغة ، منقولاً منها إلى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها
 على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن
 وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم ،
 فإذا سمعنا الفرس أو الترك مثلاً استعمالوا هذه اللفظة بهذا المعنى ، نقطع بأنهم استعاروها
 من اللغة العربية ، ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم
 لسانهم مثل عطف وإضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعمالت هذه
 المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة
 العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة
 القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فإذا علمنا أن العرب كانوا
 يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الشجرة المخصوصة المسماة بالبن .
 وهي من منتوجات بلاد البن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى ، إذا علمنا هذا
 نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية التجار ، ومن ذلك (الجمل) و (الغزال) ونحوها
 من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها .

وإذا علمنا أن المسك مثلاً ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم ، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية ، غيرها ، نعلم أن هذه اللفظة بمناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات ، مباشرة أو بالواسطة ، ومثل ذلك (الكافور) فإنه في السنسكريتية وغيرها ، ولكننا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملاقا ، وإن اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلمة ملقية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل فإن مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (ببالا) أو (ففاللا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

فلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا إلى استئثاره دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة ، والصرف والنحو وغيرها ، وبذلك توصلوا إلى معارف جمّة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات إلى أصل واحد ، وهذا الاصل إما أن يكون باقياً أو مندثراً ، فأصول الباقية هي التي سارع أهلها إلى تدوينها منذ العصور العريقة بالقدم ، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طبقات القرون الخالية ، أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فإذا ذهبنا إلى القول بأن اللغة العربية والعبرانية والكلدانية — مثلاً — بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فإذا رأينا لفظة في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون أخرى بل نرجح أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام ، فهي أصل في كل منها . وبالعكس إذا وجدوا لفظة في إحدى هذه اللغات تجلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلاً في هذه اللغة .

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي أنهم إذا وجدوا لفظة في لغتين أو أكثر ترجع إلى أصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات إحدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها إلى اللغة الأخرى ، مثال ذلك إذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلاً

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية .

هل التغير ضروري في التعريب

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغير يسيراً كان أو كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فاننا كثيراً ما نجد تغييراً لا ندعو اليه الحاجة ولا نقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكمك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية . و (الدهقان) معرب ، (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لثلاث يدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلب التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر .

وأسباب التغير كثيرة منها : اشتغال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضمه مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضمه خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ؛ ومنها النقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي ترمين) وقد حذف شطرها الثاني للخفة ؛ ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلة) وهو الشجر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان - كونا على غير حده فيحرك أحدهما مثل (أيزن) تعريب (آيزن) كما تقدم ، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوّة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيماً وهو الأكثر ، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزونة) وقد نقلب هذه الهاء قافاً وعليه عربوا كلمة « نيزه » وهو الزمخ القصر على « نيزك » .

وأسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الإمكان حتى قال بعضهم : يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن نطق بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق ، لان الحكم على الالسنه باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير ، كما يشهد به الواقع .

طه الراوى

ينبع



آراء وأخبار

مول مقالة (الطموح عند المتنبي)

كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ

(أ كثر من كتب في هذه الأيام عن المتنبي كان قوله في هذين الرجلين نحواً من أقوال المتنبي فيهما ، تأثروا بشعر المتنبي في مدح الاول وذم الثاني . ولم أر فيهم من نصب ميزان الحق بينهما فقال كلمة التاريخ ، بل كلهم أعاد قول الشاعر الذي بنى به جهة الريح ولا يؤخره عن هجاء امرئ في الغد ما أطيب في مدحه أمس . إلا أن أحداً لم يقل فيهما ما قال حضرة الفاضل الذي تناقشه بكلمتنا هذه)

قرأت في العدد العاشر من هذه المجلة كلمة الاستاذ احمد رضا في (روح الطموح عند المتنبي) وقد جره الاسترسال في الكلام - وهو في موقف المؤرخ الأمين - إلى أن يقول ص ٣٦٧ من مجلة المجمع لهذه السنة بعد أن أورد طائفة من مدائح المتنبي في كافور : « يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي أذنه في بد النخاس دامية ، وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه ما لا يقبله من سيف الدولة فيخضع للإشاد بحضرته قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالاً كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بمقدار » اهـ

هذا قول إذ تنسكه الحقيقة والتاريخ كل الإنكار ، وما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه ، وضلال كبير أن تعتمد على المتنبي في القضاء بين سيف الدولة وكافور ، بل هو نفسه مدح كافوراً ثم هجاء وقد بالغ في حاله هاتين مبالغة منكراً

فبأيتهما نأخذ ؟ وإذا ساغ لصاحب الفن المولع بالجمال أن يستعذب أماديح الشاعر أو أهاجيه ، فإن على المؤرخ أن يطرحها طرحاً وألا يقيم لها حساباً إذا علم أنها لا ترجع إلا إلى سرور الشاعر بالعطاء أو غيظه من الحرمان .

وما عيب الشعر العربي بشيء أشنع من أبواب المديح فيه ، وليت الزمن ذهب بهذه الثروة منه صفقة واحدة فأفناها غير مأسوف عليها ، إذا لقرت عين الأدب والفن والكرامة ولا ترتفع الشعر عن دركات الاستجداء الشائن .

هذا وأول أدوات المؤرخ التي لا يكون مؤرخاً إلا بها ، التجرد والإنصاف ووزن الأقوال وما لا بسا من ظروف ، ثم التدوي والناة والاستقصاء ، حتى إذا اطمأن للمؤرخ إلى ما بذل من جهد أصدر حكمه بكل هدوء ، أصدر من يعرف أن الله يسأله عن كل حرف سطره : ما هي حجته فيه .

فلا شرع في بيان ما أنكر من هذا القول الذي أتى به الاستاذ :

أ - أما كون كافور عبداً فليس بضائره عند التاريخ الذي لا يحكم على امرئ إلا بأعماله ، عبداً كان أو حراً ، وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية كافة على إسقاط هذا الذي يزعم فرقاً بين خلق الله ، فالعبد كالحُر والحُر كالعبد في نظر الحق لا يرفع الإنسان إلا صالح عمله .

ب - وأما كونه زنياً فهذا ما أسأل الاستاذ إقامة البينة عليه من التاريخ ، أسأله ذلك بالخلاف ولا أقبله من الجواب عليه البتة .

ج - وأما التفات في الأدب فهو صحيح كما ذهب إليه الاستاذ في إثباته ، وأنا أسلمه له مع إبطائي أشد الإباء الشكل الذي وردت عليه عبارته .

د - وأما النسب والشرف فوجب والله ذكرهما على سبيل المفاضلة . نعم كانت ذلك في زمن مضى من الجاهلية أو من عصور الجهل والظلم ، فلما أتى الإسلام أبطله وهدمه تهديماً أقر عيون كل منصف حر في أقطار الأرض .

ولا تنس أن من أكبر حسنات الإسلام جعله الناس كلهم طبقة واحدة ، وبهذا قضى على ظلم فارس والروم وغيرها من الأمم التي كان فيها طبقات ، فيها للملوك وفيها الأشراف وفيها التجار وفيها العبيد . . . وكانت كل طبقة تسوم من دونها سوء

العذاب . فلما رحم الله الناس بالإسلام جهر كتابه بهذه الآية العظيمة الخالدة : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وافرض أيها الاستاذ أن في تقاليد اليوم ما يجعل هذه الفروق معتبرة ، أفيدوخ لك وأنت المؤرخ الباحث ان تدخلها في جريدة الحسنات والسيئات فتجعل النسب مما يتفاضل به الناس في نظر التاريخ ؟

والاسلام هو الذي يقول قرآنه : (ثبت يدا أبي لهب) وأنت تعلم ان ابا لهب ينتسب الى اشرف بيت من بيوت العرب ، هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ذروة سنام الشرف وغاية ما يعتز به النسب . وكتاب الاسلام هو القائل في ولد نوح : (يا نوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح) فأنت ترى في هذه الآية الفصل فيما بيننا فهي اسقطت نسب الدم واثبتت نسب العمل ، والامر كذلك في الواقع والحق ، فنسب الانسان عمله ولا يخفى على احد الحديث القائل بأن الله أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بالأباء ، الناس من آدم وآدم من تراب .

٥ - وأما قولك : هذا درة وهذا بعة فهو ما استهجنه كل الاستهجان لانك إن كنت تعني الخلقة فليس امرها الى كافور ولا الى سيف الدولة حتى نعيب الاول بتشويه صورته أو ننفي على الثاني بتحسينها ، امر ذلك يا مولاي الى الله ، ومهما ترفى سيف الدولة في مراتب الجمال ومهما تدف كافور في القبيح فاننا لا نغفر لك ان تشبه آدمياً بالبعة والمحاريب بتعالى فيها كل يوم قول الله عز وجل « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله : « ولقد كرمنا بني آدم » .

وإن كنت تعني بتشبيحك هذا بالدة وذلك بالبعة فارقاماً معنوياً مرجعه الى ما أدى كل منهما لرعيته من خدمة فهذا غير مسلم لك .

وسأثبت لك شهادة المؤرخين في ان الامر على عكس ما ذهبت اليه ، وان التاريخ يذكر سيف الدولة في عداد السفاكين الظالمين الذين استعلوا كل ما حرم رسول الانسانية (ص) في قوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ويذكره مع

الذين اشقوا رعيتهم وفتنوها ، والتاريخ يعد كافوراً في طبقة الملوك الصالحين الحسنيين .
وهاك براهيني :

١ - قال المؤرخ الذهبي في كافور : «توكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتعهد بغير غرض وجهه ملجداً ويقول : اللهم لا تمسك علي مخلوقاً » وقال « وكان يرسل بكل ليلة عيد وقر بفل درهم في صرر بأسماء من أرسلت إليهم من العلماء والزهاد والفقراء » .

٢ - جاء في كتاب دول الإسلام ج ١ ص ١٧٣ في حوادث سنة ٣٥٦ هـ (وفيها مات كافور وكان عجباً في العقل والشجاعة » .

٣ - جاء في وفيات الأعيان في ترجمة كافور : « وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس وغير ذلك ، وكانت أيامه سديدة جميلة » .

هذا كافور ، فأما سيف الدولة فإليك شذرات من أقوال المؤرخين فيه :

٤ - جاء في خطط الشام ج ١ ص ٢١٧ : « كان سيف الدولة يسير هو والشريف العقيقي بضواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال له العقيقي : هي لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوائين السلطانية ليتبرؤن منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فكانوا كافوراً يستدعونهم من مصر ، فجاءهم » اهـ .

٥ - وذكر الأزددي سيف الدولة فقال : « كان سيف الدولة معجباً برأيه محباً للفخر والبذخ ، مفرطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال لمناظريه . والعجب بأرائه سعيداً مظفراً سيفه حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه » . وإذا علمت مصادر هذه الأموال التي كان بها سيف الدولة مفرطاً سيف السخاء والبذخ لم يعجبك سخاؤه ولا بذخه ، فقد قال صاحب الخطط بعد هذا : « نعم كان سيف الدولة جائراً على رعيته يخرب قرية ليحجز شاعراً مدحه بقصيدة » ثم قال : (الخطط ج ١ ص ٢٢٢) « لقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الأبهة الضخمة في مملكته الصغيرة مصادرة رعيته ، فكان قاضيه أبو الحصين يقول : « كل من هلك فليسيف الدولة

ما تركه « مؤلفه » كثرة مصادر كل غني من التجار وغيرهم فخرت البلاد الشمالية في أيامه » .

وما أحسن ما ذبل الأستاذ المكرم علي على كلامه سيف سيف الدولة حين قال : « وفي باب تكريمه نوائب بسطت في كتب الأدب ، وكما على ملأها من المخاطر سيف خدمة اللغة والشعر تحصل في مطالبها المأوي الظلم أو إعانت الرعية ، فسيقت الدولة على خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته أكثر » . اهـ

وأنا لست من رأي العلامة صاحب الخطوط أن حسنه أكثر لا في أرى جميع هذه المبات وذلك السخاء المزيف لا يقوم الدرهم وأعد يأخذه من رعيته ظلماً ولا ينهض لقطر قطم يسفكها بغير حق - ولا بأس في أن أثبت هنا خبراً نقله السكرتاري علي نفسه عن ابن حوقل ما أطلق أن أعداً فيه بقية من إنسانية ورحة يرضى لنفسه أن يعد سيف الدولة في غير الطغاة العتاة من كبار الجرمين في التاريخ ، لما أتاه من الإجماع الشنيع ٦ - ومن كثرة مظالم سيف الدولة أن بني حبيب وهم أبناء عم بني حمدان ، كانوا ينزلون نصيبين « فما كتب عليهم بنو حمدان بضوء الجوز حتى خرجوا بفوزاتهم في اثني عشر ألف فارس إلى الروم وتمصرروا بأجمعهم ثم عادوا إلى بلاد الإسلام على بصيرة مضارمو علم أسياب قساده وقلوبهم قسطهم شقداً » . علي ما قال ابن حوقل ، وأخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام وأطعموا صاحب الروم بأنطاكية وحلب .

فهل تفي بهذه الوصمة كل ما بعد لسيف الدولة من مآثر وحسنات وعطايا ومباتات مع فرضنا أن هذه العطايا وتلك المباتات من ماله الحلال لا من أموال الرعية ولا من المظالم والمصادرات .

أراك أيها الأستاذ (رضاء) كيف أن سيف الدولة بطأ به عمله ولم يسر معه نصيبه وإن كافوراً سماه وصاحبك يرضى . وقل ذلك في حققة من عمل عمله . إن العلم والأدب أمانة فليعظروا قارئ في كتاب ما مات ترك مؤلفه من عقله وقامته وما أخذه وليبقى الله قضاء التاريخ والأدب فإن اللهمة شاقة والجل ثقل والتأقيد بغيره .

سعيد البرقاني

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

بحر العوام

فيما أصاب فيه العوام

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله العربي المبين

ترجمة المؤلف . - هو الشيخ الإمام أبو عبد الله رضي الدين محمد
ابن ابراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، ترجمه
الغزي في الكواكب السائرة ترجمة مختصرة ، والشهاب الحفاجي في
ريحانته ، ومما قاله : « وله نظم كما انتظمت دراري الزهر ، ونثر كما نثرت
يدُ الشمال على وجنات الرياض لآلئ القطر » ، وله تصانيف مُجَمَّةٌ تزيّنت بها
البلاد ، وأمست قوائمها منوطة بأجساد الأجواد ، فهو نسيج وحده وآثاره
في حلل الفضل طراز مذهب ، وأسد في مجادلة العلماء لا يذكر عنده
ثعلب ، وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغباً ، أو لسحبان
لظلي لذبل الحجل على وجه البسطة ساحباً . . . »

مبانه = قال صاحب ^(١) « أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء » :
كانت ولادته سنة ٩٠٨ كما وجدته في فهرست المكتبة السلطانية المصرية ،
وتوفي في حلب سنة ٩٧١ للهجرة .

دراسته = وأما دراسته فقد قرأ القرآن على الشيخ أحمد بن الحسين
الباكزي ، وقال في ترجمة شيخه عبد الرحمن بن نضر الذكاء : تفقهت أنا
ولله الحمد على شيخنا صاحب الترجمة قراءة ، وسمعت عليه سماع دراية جانباً
من شرح الشافية للجاربردي ، وجانباً من شرح الكافية للهندي ، بقراءة
البرهان الصيرفي الأريحاوي ، وقطعة من صدر الشريعة بقراءة الشمس محمد
ابن طلاس بصتي ؛ وقرأ على الشهاب أحمد الهندي الدلوي نزهل حلب ككتاب
المطول وحواشيه للشريف الجرجاني ، وقرأ على محمد بن شعبان الديروطي
بحلب سنة ٩٤١ شرح النخبة لابن حجر في مصطلح الحديث ، وأجازه في
إقراءها لمن شاء ، وأن يروي عنه صحيح البخاري ومسلم ، وقرظ له بعض
مؤلفاته ؛ وقرأ النزهة ^(٢) في الحساب على الشيخ محمد الحناجري ، والبلاغة
على الشيخ موسى الرسولي نزهل حلب ، ومتن الجفميني ^(٣) على ولي الدين
الشرواني ، قال المترجم : وهو أول أستاذ لي في هذا الفن ، وقال في
ترجمة البرهان إبراهيم الهادي : أخذت عنه عدة فنون إلى أن أجاز لي جميع

(١) ٦٠/٦ وصاحب الاعلام هو عالم الشهباء ومؤرخها الشيخ محمد راجب الطباخ
عضو مجمعنا العلمي ومن تاريخه انبثقت مادة هذه الترجمة . (٢) هي نزهة الالباب في
علم الحساب لعبد العزيز المغربي المكنامي المتوفى سنة ٩٦٤ . (٣) الملخص في الهيئة
لمحمود بن محمد الجفميني وعليه شروح جمّة .

ما يجوز له ، وعنه روايته اجازة مفصلة بخطه سنة ١٤٨٠ .

نصوفه - لم نطلع على كتب التصوف التي قرأها على اشيائه ، ولا على سيرته في التحنث والتنسك لنحكم على مبلغ علمه ونوع تصوفه وتأثره به ، ولعل تصوفه هذا قد كان تصوف تبرك ومجارات لطريقة علماء عصره ، فقد شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندر يي وهي جمة الشروح ، والف حور الخيام في رؤية خير الانام في اليقظة والنام و كتب رسالة تسمى تلميظ الشهيد لاهل الحل والعقد شرح فيها احد وعشرين بيتاً كان نظمها على لسان شيخه في التسليك وهو الشيخ عبد اللطيف الجامي الذي قال في ترجمته : وقد سألته في تلقين الذكركر فلقنتني اياه بالتكبية الحسروية وصافحني واجاز لي والله الحمد ان ألقي وأصافح ، وكتب لي دستور العمل ، ولكن بالفارسية لاشتغاله عن التعريب باهية السفر ، فاستأذنته في تعريبه نظماً ونثراً ، فأذن ، فعربت وعرضت التعريب عليه فاستملحه ، وصار الناس يكتبون منه نسخاً والله المنة .

أوبه = كان المؤلف يتكلف البديع في نثره وشعره على نمط الأدب في عصره ، فإن ما نذكره من أمثلة نظمه يدل على ذلك ، وعلى أنه من شعر العلماء الذين تأثروا بمصطلحات العلوم فلم تخل منها أشعارهم ، ولم يتيسر لهم أن يتذوقوا البليغ من النثر والشعر ، وكان المترجم من علماء اللغة والمشفوفين بها ، فقد اهتم بلهجة بلدته وردها الى لغة أمته الفصحى ، وله في التاريخ كتابا در الحبب والزبد والضرب وكلاهما في تاريخ حلب ،

وألف في الأحاجي والألغاز على نمط أبناء عصره ، فله كنز من حاجي وعمى في الأحاجي والمعنى وشرحه بكتاب سماه غمز العين الى كنز العين ، وألف في صناعة الإنشاد كتاباً سماه تحفة الأفاضل في صناعة الفاضل ، وله ديوان لشعره جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملا ، فمن شعره :

قوامك يا بدر النحاة كأنه قنأ أو قوام السرو أو ألف الوصل
وعينك فاقت كل عين بكحلها فما أنت إلا زيد مسألة الكحل^(١)
وقوله :

يلوموني في ترك ضم قوامه ولا إذن للنسك في الضم والضم
نعم بيننا جنسية الود والصفاء ولكنني لم ألفها علة الضم
وننسب إليه هذه الرباعية :

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل مثلي وأنا العليل من أجل عليل
من ضعفي قد صرفت ميلي لهما والجنس الى الجنس كما قيل عليل
مؤلفاته = إن ثبت مؤلفاته الذي نسرد جريدته لك الآن كاف
في الدلالة على اتساع دائرة معارفه التي لم تقتصر على علوم الدين والأدب
ولغة العرب ، فقد حمله شغفه بالعلم على درس كثير من العلوم الطبيعية
والرياضية والتأليف فيهما ، ورأينا في ترجمته أنه قرأ نزهة الألباب في علم
الحساب ، ومتن الجعيني في الهيئة ، وألف رفع الحجاب عن قواعد
الحساب وهو شرح للنزهة ، وله أيضاً : عدة الحاسب وعمدة المحاسب ،
(١) اشارة الى مسألة الكحل المشهورة بين النحاة .